تفسير أتباع التابعين
أعلامه ومعالمه

د. خالد بن يوسف بن عمر الواصل

مسؤول وحدة البحث العلمي بمركز الدراسات والمعلومات القرآنية – معهد الإمام الشاطبي

- من مواليد مدينة جدة عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- تخرج في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- نال درجة الماجستير من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م بأطروحته: (**الدعوة إلى الله في سورة الزخرف**).
- كما نال درجة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م بأطروحته: (**أبو المظفر السمعاني ومنهجه في التفسير**).
- من أعماله المحكمة المنشورة : (**كشاف المقالات والبحوث القرآنية في المجلات السعودية المحكمة خلال المدة ١٣٨٨-١٤٢٥هـ**).
- البريد الشبكي: kh.wasel@gmail.com

ملخص البحث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فهذه دراسةٌ موجزةٌ عن تفسير أتباع التابعين، عرضت في فصلها الأول لأعلامهم من حيث اسم كل منهم ونَسَبه وحياته العلمية ومنزلته في الرواية باختصار شديد، ثم بيان مكانته في التفسير، ومكانة تفسيره عند نَقَلة التفسير المأثور، ومنهج تفسيره وموضوعاته التي اعتنى بها، وهم: الكلبي، والمقاتلان، وابن جُرَيْج ، وابن إسحاق، والسفيانان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وختمت بيحيى بن سلاّم.

ثم ثَنَّيت في الفصل الثاني بدراسةٍ تأصيليةٍ لتفسيرهم مُجَلِّيا طُرُقَه ومصادرَه ومظانَّه، ثم استخلصت سماتَه وقيمتَه العلمية ومدى اعتماده لدى المفسِّرين، وختمت ببيان أثر أتباع التابعين في التفسير.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فإن من أشرف علوم القرآن نفعاً وبركة، وأعظمها فائدة وخيراً؛ علم تفسير كتاب الله المجيد، ومن هنا كان أهل العلم بالقرآن من أشرف العلماء وأكملهم، ويأتي على رأسهم السلف الصالح، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، الذين بينوا كلام الله تعالى على نور وبصيرة مقتبسين من مشكاة النبوة؛ معينهم الصافي الذي لا كدر فيه، وموردهم الزلال الذي لم تشُبْهُ شائبة، ولقد احتفى بتفسيرهم أهلُ العلم من بعدهم، وتناقلوه في دواوينهم، كما درسوا رجاله، وكشفوا عن أحوالهم وسِيَرهم ، ومناهجهم، وأصولهم التي ساروا عليها في تفسير كلام الله تعالى.

ولما كانت طبقة أتباع التابعين إحدى طبقاتهم، وخاتمة عقدهم؛ رغبت أن أدرس تفسيرهم وأعلامهم دراسة نظرية تأصيلية موجزة تكشف سِيَرهم، وتُجَلِّي مناهجهم، وتوضح مسالكهم.

أهمية البحث وأسباب اختياره :

تكمن أهمية البحث - بالإضافة لما سبق- في كون طبقة أتباع التابعين هي الحلقة الفاصلة بين السلف ومن بعدهم ، والمرحلة الواصلة بين المتقدمين والمتأخرين من المفسرين، ولا شك أن الوقوف على تفسيرهم ودراسته يكشف المرحلة الممهدة لتطور التفسير وتدوينه. ومع وجود من اعتنى بتفسير الصحابة والتابعين ودرس مناهجهم دراسة تأصيلية؛ إلا أني لم أقف على مثل تلك العناية بطبقة أتباعهم الذين هم خاتمة السلف، ومن هنا عقدت العزم على محاولة سَدِّ تلك الثغرة، وإتمام هذه اللَّبْنة، من تاريخ التفسير وأصوله ومناهجه، سائلا الله المعونة في ذلك، وراجيا أن ينفعني به ومن قرأه، وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم.

خطة البحث :

قسمت الدراسة إلى تمهيد بنبذة عن أتباع التابعين وعصرهم، ثم فصلين:

الفصل الأول : أعلام مفسري أتباع التابعين

أولا: محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦)

ثانيا : مقاتل بن سليمان الأزدي (ت١٥٠)

ثالثا: مقاتل بن حيان البلخي (ت١٥٠)

رابعا: عبدالملك بن جريج (ت١٥٠)

خامسا: محمد بن إسحاق (١٥٣)

سادسا: سفيان الثوري (ت١٦١)

سابعا: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم (ت١٨٢)

ثامنا: سفيان بن عيينة (ت١٩٨)

تاسعا: يحيى بن سلام (ت٢٠٠)

الفصل الثاني: معالم تفسير أتباع التابعين

المبحث الأول: طرق تفسير أتباع التابعين ومصادره ومظانه:

المطلب الأول: طرق التفسير في عهد أتباع التابعين.

المطلب الثاني: مصادر التفسير عند أتباع التابعين.

المطلب الثالث: مظان تفسير أتباع التابعين.

المبحث الثاني: سمات تفسير أتباع التابعين وقيمته العلمية ومدى اعتماده لدى المفسرين:

المطلب الأول: سمات تفسير أتباع التابعين.

المطلب الثاني: قيمته العلمية ومدى اعتماده لدى المفسرين.

المبحث الثالث: أثر أتباع التابعين في التفسير:

المطلب الأول: تطور تدوين التفسير في عهدهم وتوسعه.

المطلب الثاني: مآخذ على تفسير بعض أتباع التابعين.

هذا وقد كان من منهجي في البحث :

- الاقتصار في بيان مكانة مفسري الأتباع على كتب نقلة التفسير المأثور المسندين أو من نقل عنهم كابن كثير والسيوطي في الدر المنثور، وقد أذكر غيرهم إن رأيت الحاجة إلى ذلك.

- الإفادة في الإحصاءات التي أذكرها من البحوث والدراسات السابقة[(١)]، وكذا مقدمات محققي بعض كتب المراجع أو فهارسها؛ لئلا يتكرر الجهد، وما لم أجد فيه إحصاء قمت به عن طريق محركات البحث في الكتب الإلكترونية، مع استعراض النتائج وفحصها.

- إرداف الأعلام المذكورة في المتن بتاريخ وفياتهم، وذلك لمن رأيت أهمية إيراد تاريخ وفاته لموضوع المبحث، وقد اقتصرت على التاريخ الهجري دون إضافة رمزه (هـ) لوضوحه.

وهذا أوان الشروع في المقصود، بعون الملك المعبود.

---

(١) قد لا أوافق بعض تلك الدراسات في منهجية إحصاءاتها وبعض نتائجها؛ لكن أفيد منها على أنها مؤشرات تقريبية.

تمهيد

أتباع التابعين هم الذين شافهوا التابعين وتتلمذوا على أيديهم[(١)]، أما عصرهم فهو القرن الثاني الهجري، ويصعب تحديد طبقتهم بالسنين نظرا لتداخلها مع طبقة التابعين[(٢)]، لكن بالإمكان تحديد طبقة مفسريهم بأنها ما كانت وفياتهم بين عامي ١٤٠هـ و٢٠٠هـ، وهذا من خلال تتبع أعلام مفسريهم الذين وردت أقوالهم عند أئمة نقلة التفسير[(٣)].

أما من قصدت بمفسري أتباع التابعين فهم من تصدى منهم للتفسير دراية، وذلك بقصد بيان المعنى المراد في القرآن، لذا خرج من دائرة البحث من شارك في التفسير رواية بمجرد نقل أقوال مفسري السلف، كسعيد بن أبي عروبة (ت١٥٦)، ووكيع بن الجراح (ت١٩٧) ويزيد بن هارون (ت٢٠٦)، وعبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١)، والفريابي (ت٢١٢) وغيرهم، كذلك خرج اللغويون الذين شاركوا في تفسير القرآن لكن باتجاه آخر يختلف عن طريق السلف، حيث كان النظر اللغوي

(١) ينظر: كتاب الثقات ٦/ ١-٢. ويحسن التنبيه هنا على أنا لسنا بصدد تحرير مصطلح أتباع التابعين ومتى يحكم على الشخص بأنه منهم، كما في الصنعة الحديثية، فهذا محله كتب مصطلح الحديث وتراجم الرجال، والحاجة إليه وإعماله في باب الرواية، ومنه التفسير النقلي الروائي، وهو ليس مقصودا في هذه الدراسة، كما سيأتي بيانه.

(٢) لا يخفى صعوبة تمييز الطبقات بعضها عن بعض، بل إن التداخل بين طبقتي التابعين وتابعيهم من أكثرها إشكالا، إذ وُجِد من أتباع التابعين من عاصر الصحابة ورأى بعضهم لكن لم تثبت روايته عنهم؛ كالأعمش وابن إسحاق وأبي حنيفة - بل قد يذكر ذلك عمّن هو من طبقة أواسط التابعين كإبراهيم النخعي والضحاك بن مزاحم- ومنهم أيضا من عاصر صغار الصحابة لكن لم يُعرف بالرواية عنهم أو رؤيتهم، كالكلبي وابن جريج، وقد أحسن الحافظ ابن حجر في التخلص من مثل تلك الإشكالات حين أدرج طبقتين بين طبقتي صغار التابعين وكبار أتباعهم هما: الطبقة الخامسة، جعلها للطبقة الصغرى من التابعين الذين رأوا الواحد والاثنين ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة، كالأعمش، والطبقة السادسة، للذين عاصروا الخامسة، لكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة، كابن جريج. ينظر تقريب التهذيب ص٧٥. لكن وصفه للخامسة بأنهم من التابعين يوهم أنهم كذلك في باب الرواية، والعمل على خلافه.

(٣) فعلى سبيل المثال نجد أن آخر من أورد ابن جرير قوله من أعلام مفسري التابعين هو الربيع بن أنس (ت١٣٩)، وآخر من أورد أقواله من أعلام مفسري أتباعهم هو سفيان بن عيينة (ت١٩٨).

هو أساس بحثهم، وأصل مشاركتهم، والأسبق في طرحهم، ومن هنا لم يعتمد أئمة نقلة التفسير إدراجهم مع مفسري السلف، كما أن المفسرين المتأخرين كانوا يميزونهم بإطلاق وصف (أهل المعاني) عليهم[1]، بل إنهم كانوا يميزون أنفسهم بإطلاق وصف (المفسرين) و(أهل التفسير) و(الفقهاء) ونحوها على مفسري السلف ، مما دل على تمايز المنهجين، وأنهم يجعلون السلف قسيما لهم في علم التفسير[2]، وعلى هذا التمييز مضى نقلة التفسير، فلم ينقلوا أقوالهم مع أن كثيرا منهم يندرج ضمن هذه الطبقة كالكسائي (ت١٨٣)، والفراء(ت٢٠٧)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى(٢٠٩) وغيرهم[3]، حتى إن ابن جرير كان يسرد أقوال مفسري السلف على أنها تأويل القرآن المعتمد، ثم يذكر أقوال اللغويين على حدة، ثم ينتقدها ويردها إن خالفت أقوال السلف.

هذا وسوف أعرض في هذا البحث تفسير أتباع التابعين من جانبين: أعلامه، ومعالمه، أعقد لكل منهما فصلا، وقد آثرت الابتداء بالحديث عن أعلام مفسري أتباع التابعين والوقوف على تفسير كل منهم ليكون منطلقا لبيان معالم تفسير الأتباع عموما من حيث مصادره وطرقه وخصائصه وماله وما عليه. ولكن قبل ذلك يحسن أن نستعرض بإيجاز شديد أمورا كان لها الأثر الواضح في تفسيرهم، وهو ما يتعلق بعصرهم من الجوانب السياسية والعقدية والعلمية.

عصر أتباع التابعين

شمل عصر أتباع التابعين أواخر الدولة الأموية ومعظم العصر الأول من عصور الدولة العباسية الذي يعتبر العصر الذهبي لها.

---

(١) قال ابن الصلاح: « وحيث رأيت فى كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب فى معانى القرآن كالزجاج ومن قبله » ، ينظر: البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٩١.

(٢) ينظر: التفسير اللغوي ص ٢٦٩، ٥٧٦.

(٣) شذ في ذلك ابن المنذر الذي أكثر من إيراد أقوال أبي عبيدة معمر بن المثنى في تفسيره ، ينظر- على سبيل المثال- في الجزء المطبوع منه: ١/ ١٢٩، ١٣٠، ١٣٨، ١٦٩، ٢١٦، ٢١٧، ٢٣٣، ٢٧٤، ٣٣٤، ٣٤٠.

وأبرز الجوانب العقدية لذلك العصر هو ظهور أسس الفرق وتطورها، فمما يُعْلَم أن ابتداء ظهور الفرق كان في أواخر عهد الصحابة، ثم أخذت في التوسع والتشعب حتى بلغت مرحلة خطيرة في هذا العهد حين بدأت تنشر آراءها، موظفة علم الكلام الذي برز حينئذ إثر ترجمة كتب الأمم السابقة، كذلك دُوِّنت مصنفات توضح معتقداتها وتُزَيِّنها للناس، حتى ولجت إلى كتاب الله تفسره حسب أهوائها ومعتقداتها، فبدأ ظهور تفاسير المعتزلة في أواخر هذا العصر، وما بعده، كتفسير أبي بكر بن كيسان الأصم (ت٢٠١)، ويوسف بن عبد الله الشحام (ت٢٣٣)[(١)].

والأخطر من ذلك هو محاولتهم الدعوة إلى مذهبهم للوصول إلى بلاط الحكام، الذين كانوا في بداية هذا العصر صخرة قوية تحطم تلك المعتقدات خصوصا الخليفة المهدي (خلافته ١٥٨- ١٦٩) الذي تنبه لخطر الزنادقة وأفناهم، لكن في أواخر هذا العهد استطاع المعتزلة الوصول إلى الحكام، فاتصلوا بالخليفة المأمون (خلافته ١٩٨-٢١٨) وتمكنوا من إقناعه بمعتقدهم، فكان عهده آخر عهد الأتباع، وفيه «ظهرت البدع ظهورا فاشيا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيرا شديدا »[(٢)].

أما الناحية العلمية لذلك العصر فقد بلغت ذروتها، تَمَثَّل ذلك في معالم بارزة، من أهمها:

١- التوسع في التدوين والتأليف ونشاط حركته، فمما يُعلم أن بدأ تدوين العلوم كان في وقت مبكر جدا- وبخاصة الحديث- في القرن الأول الهجري، واتخذ طابعا رسميا في أواخره عندما أمر عمر بن عبد العزيز رحمه الله بجمع السنة[(٣)]،

(١) ينظر: التفسير اللغوي ص ٢٦٩، ٥٧٦.

(٢) ينظر: فتح الباري ٧/ ٦.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٨٧، الرسالة المستطرفة للكتاني ص٣، ٤، بحوث في تاريخ السنة لأكرم ضياء العمري ص٢٩٨.

فاستهل القرن الثاني بنشاط فكري واسع، وحركة علمية دؤوبة في تدوين العلوم، حتى كان من أوائل كبار مدوني العلم عموما من كان من مفسري تابعي التابعين كابن جريج وابن إسحاق والثوري.

٢- ظهور المؤلفات الجامعة، وهي نتيجة للسمة السابقة، حيث تفنن أهل العلم في التدوين، حتى بلغوا ذروته في تصنيف المؤلفات الجامعة، كالجامع للثوري، والموطأ للإمام مالك (ت١٧٩هـ)، والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني (ت٢٠٦هـ).

٣- أيضا اتسعت العلوم بأنواعها من علوم القرآن والحديث والفقه وغيرها، وأصبح لها مبادئ وأسس وقواعد، ومتخصصون في كل منها، بل وتكاملت علوم جديدة كانت ناشئة في أواخر القرن الأول، يظهر هذا جليا في علوم اللغة العربية ، التي استقرت على يدي جهابذة أهل اللغة في هذا العصر كالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥) وسيبويه (ت١٨٠)، والكسائي (ت١٨٣)، وغيرهم.

الفصل الأول

أعلام مفسري أتباع التابعين

حفل عصر أتباع التابعين بعدد من المفسرين المُبرِّزين فيه، الذين قصدوا التفسير وعرف عنهم الاجتهاد فيه، والتصدي له والتدوين فيه، وأورد آثارَهم التفسيريةَ نقلةُ التفسير المأثور، ومثل هؤلاء يصعب استقصاؤهم والحديث عن كل منهم في مثل هذا البحث، لكني سأتناول أعلامهم(١)، وهم بحسب ترتيب وفياتهم:

١. محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦)

---

(١) مما يجدر ذكره أن د. محمد عبد الله الخضيري أدرج الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥) ضمن أتباع التابعين، ولم يورده في كتابه الحافل (تفســــير التابعين) ضمن التابعين، وصــرّح في مواضع منه بــأنه من أتباعهم - ينظر: ٢/ ٥٨٥، ٦٩٤، ٩٥٤ - ثم أكّد ذلك في دراسته الموسومة (التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم) ص ٨٨.

والذي أراه خلاف ذلك، لذا لم أورد الضحاك في هذه الدراسة، لأن الضحاك -من حيث الإدراك الزمني- ضمن طبقة التابعين، فقد ولد في أوائل خلافة عثمانﷺ - وربما قبل ذلك- وتوفي عام ١٠٥- على أعلى ما ذكر في تاريخ وفاته- وقد جاوز الثمانين، بل هو بهذا يقرن بأواسط طبقة التابعين-كمجاهد مولدا ووفاة على وجه التقريب- نعم لم تثبت روايته عن الصحابة في قول جمهور أهل العلم – وإن رجح ذلك بعضهم كالشيخ أحمد شاكر ينظر: تحقيقه لمسند الامام أحمد ٤/ ٦٧ حاشية الحديث ٢٢٦٢ -؛ لكن لا بد من ملاحظة أن مروياته وتفسيره النقلي ليس مقصودا في مجال بحثنا؛ لأن الرواية منسوبة إلى من رويت عنه كما هو معلوم، وفيها يبحث عن اتصال السند وصحة الأثر، وإنما المقصود هنا تفسيره الاجتهادي النظري، الذي من نظر فيه رأى خصائص وميزات تفسير التابعين، فهو بهذه الحيثية معدود ضمن مفسري التابعين، ويُقرن معهم إذا ذكروا، وعلى هذا سار من تحدث عن تفسير السلف وطبقات المفسرين، فهذا سفيان الثوري (ت١٦١) يقول: «خذوا التفسير من أربعة سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك» السير ٤ / ٤٥١، وقال ابن أبي حاتم -في معرض ذكر رواية تفسيرية عن مقاتل ابن حيان -: «وكان مقاتل ما فسَّر؛ فسَّره عن رجال من التابعين، منهم الضحاك بن مزاحم، وجابر بن زيد» تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٥١٨ برقم ٢٧٥٠، وقال الزركشي: «ومن المبرِّزين في التابعين الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير، ثم يتلوهم عكرمة والضحاك - وإن لم يلق ابن عباس وإنما أخذ عن ابن جبير» البرهان ٢/ ١٥٨، وكذا السيوطي عند تعداده المبرِّزين في التفسير منهم، ينظر: الإتقان ٦/ ٢٣٤٢، وينظر أيضا: طبقات المفسرين للأدنوي ١/ ١٠.

٢. مقاتل بن سليمان الأزدي (ت١٥٠)
٣. مقاتل بن حيان البلخي (ت١٥٠)
٤. عبدالملك بن جريج (ت١٥٠)
٥. محمد بن إسحاق (١٥٣)
٦. سفيان الثوري (ت١٦١)
٧. عبدالرحمن بن زيد بن أسلم (ت١٨٢)
٨. سفيان بن عيينة (ت١٩٨)
٩. يحيى بن سلام (ت٢٠٠)

وسوف يكون الحديث عن كل علَمٍ من هؤلاء من حيث اسمه ونسبه وحياته العلمية ومنزلته عند المحدثين باختصار شديد، ثم بيان مكانته في التفسير، ومكانة تفسيره عند نقلة التفسير المأثور، وموضوعات التفسير التي طرقها وبرع فيها، مع ذكر أمثلة لذلك أحيانا، ثم خلاصة للموقف من تفسيره ومكانته[1].

(١) هذا وقد ذُكر من أتباع التابعين غير هؤلاء ممن كانت لهم مشاركة في التفسير النظري الاجتهادي؛ لكنها دون من ذكرت، من أشهرهم: جعفر الصادق (ابن محمد بن علي ت١٤٨)، ومعمر بن راشد (ت١٥٤)، والأوزاعي (ت١٥٧)، والليث بن سعد (ت١٧٥)، ومالك بن أنس (ت ١٧٩)، وعبد الله بن المبارك (ت ١٨٢)، وعبد الله بن وهب (١٩٧)، وغيرهم.

أولاً : محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦)

أبو النضر الكوفي الأخباري، روى عن أبي صالح باذام وعن الشعبي وغيرهما، وعنه ابنه هشام صاحب النسب، وشعبة وابن المبارك وأبو معاوية وابن فضيل ويزيد بن هارون وغيرهم[١]. مولده بالكوفة[٢]، وكذلك وفاته عام ١٤٦[٣].

منزلته في الرواية وعقيدته :

هو عند المحدثين متهم بالكذب يروي المناكير، قال أبو حاتم الرازي: «الناس مجتمعون على ترك حديثه، وهو ذاهب الحديث»[٤]، وقال الذهبي : «أجمعوا على تركه ، واتهم بالأخوين: الكذب والرفض»[٥]، بل نُسب إلى السبئية، وهم من غلاة الشيعة الذين يعتقدون برجعة علي بن أبي طالب ﷺ، وحكي عنه أقوال تدل على ذلك[٦]، ويبدو أنه لم يُظهر ذلك المعتقد فيما رواه أئمة نقلة التفسير من تفسيره الاجتهادي ولم يؤثر فيه، بل ربما نُقل عنه ما يخالف ذلك، كتفسيره لقوله تعالى : ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء:٥٩]. قال: «أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود»[٧]،

(١) تاريخ الإسلام ١٤ / ٤٤٨.

(٢) يظهر أن ولادته متقدمة في حدود عام ٧٠ من الهجرة، وربما قبل ذلك! بحسب ما ذكر أنه كان مع ابن الأشعث في وقعة الجماجم عام ٨٤ ، وأن أباه قُتِل مع مصعب بن الزبير عام ٧٢ ، كذلك على فرض صحة ما ذكره الدولابي من أن أبا صالح باذام – الذي يروي عنه الكلبي- توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ -٩٦) ورجحه د. الشريف حاتم العوني، ينظر: بحثه الموسوم بـ (القول المحرر لترجمة أبي صالح باذام المفسر) ص٦.

وهنا ينبغى ملاحظة أنه أدرك حياة بعض صغار الصحابة وعاصر جيل صغار التابعين، ولا يبعد أن يندرج ضمنهم، إلا أن من ترجم له لم يذكروا أنه يروي مباشرة عن الصحابة؛ لذا أورده ابن حجر ضمن الطبقة السادسة الذين عاصروا حياة بعض الصحابة؛ لكن لم يثبت لهم لقاء أحدهم. ينظر تقريب التهذيب ص٤٧٩.

(٣) وقيل أنه توفي رأس الخمسين ومائة، حكاه الذهبي. تاريخ الإسلام ١٤ / ٤٤٨.

(٤) الجرح والتعديل ٧/ ٢٧٠ .

(٥) تاريخ الإسلام ١٤ / ٤٤٨، العبر ١/ ٣٨ .

(٦) ينظر: تاريخ الإسلام ١٤ / ٤٤٨.

(٧) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، الدر المنثور ٤/ ٥٠٦.

وتفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النور:٢٣]. قال: «إنما عنى بهذه الآية أزواج النبي، فأما من رمى امرأة من المسلمين فهو فاسق كما قال الله أو يتوب» [١] ، ومثل هذا يستلزم تحرير معتقده وأثره على تفسيره، واستصحاب ذلك عند الحكم على مدى قبوله[٢].

تفسيره، ومنهجه فيه:

الكلبي من أئمة التفسير روايةً ودرايةً ، لكن اتقى الناسُ تفسيرَه، خصوصاً ما يرويه، فهو ذاهب الحديث كما تقدم، وروايته لتفسير ابن عباس عن أبي صالح باذام من أضعف طرق تفسير ابن عباس[٣].

أما حجم تفسيره فوُصف بأنه كبير؛ فسّر جميع القرآن، قال ابن عدي : «ليس لأحد تفسير أطول ولا أشبع منه»[٤]، قال الذهبي معلقا على ذلك: «يعني من الذين فسَّروا القرآن في المائة الثانية، ومن الذين ليس في تفسيرهم سوى قولهم»[٥]. ووصف بأنه يفسر السورة من أولها إلى آخرها[٦].

ولم يصلنا هذا التفسير ، بل لم يصلنا إلا القليل منه مروياً في بطون كتب التفسير، أغلبها عند يحيى بن سلاّم (ت٢٠٠) ، وعبد الرزاق (ت٢١١) والثعلبي(ت٤٢٧) -كما سيأتي- .

ويتضح مما سبق أن منهجه هو تفسير جميع الآيات والسور، وأن التفسير الاجتهادي غالب على تفسيره.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣/ ٥٥.

(٢) خصوصا أنه وُصِف بأنه يفضل على مقاتل بن سليمان؛ لما قيل في مقاتل من المذاهب الرديئة! ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال ٦ / ١١٩.

(٣) خصوصاً إذا روى عنه محمد بن مروان السدي الصغير ، حتى عُرفت بسلسلة الكذب . ينظر: العجاب في بيان الأسباب ١/ ٢٦٣، الإتقان ٦/ ٢٣٤٢، هذا وقد روي عن سفيان الثوري أنه قال: «قال لنا الكلبي: ما حدثت عني عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا ترووه». الجرح والتعديل ٧/ ٢٧٠.

(٤) الكامل في الضعفاء ١٦/ ١١٩.

(٥) تاريخ الإسلام ١٤ / ٤٤٨.

(٦) حكى وكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ) عن سفيان الثوري (ت١٦١هـ) أنه كان لا يعجبه الذين يفسرون السورة من أولها إلى آخرها مثل الكلبي. ينظر: الجرح والتعديل ٧/ ٢٧٠.

أما أهم الموضوعات التي طرقها، فأغلبها في القصص وأسباب النزول والإسرائيليات، وهذا ناتج من بروزه في فن رواية الأخبار؛ لذا يوصف بأنه أخباري، ومن هنا تجد في رواياته تفاصيل في أسباب النزول والسيرة والقصص - عموما- ما لا يوجد عند غيره[١]، كذلك له تفسير جيد في بيان المفردات، وتوضيح المراد.

موقف المفسرين منه :

عند النظر إلى موقف أئمة نقلة التفسير المأثور من تفسيره عموما لا نجد من اتقى تفسيره بالكلية إلا ابن أبي حاتم-من خلال ما تبقى من تفسيره الموجود بين أيدينا- إذ لم يروِ عنه شيئاً، بينما في المقابل نجد أن سفيان الثوري (ت١٦١) نقل عنه في ٣ مواضع في تفسيره المطبوع[٢]، كذلك يحيى بن سلاّم (ت٢٠٠) روى من تفسيره النقلي والاجتهادي في ١٠٣مواضع من تفسيره[٣]. كما أورد له عبد الرزاق (ت٢١١) في تفسيره ١٦٢ أثرا ، أما ابن جرير فقد روى عنه[٤] في ٣٩ موضعاً [٥]،

(١) ومن هنا كانت مروياته عند الواحدي في أسباب النزول أكثر من غيره.

(٢) ينظر : تفسير سفيان الثوري ص٧٣، ١١٥، ١٦٠، موضعان منها من مرويات الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والثالث موقوف على أبي صالح.

(٣) وذلك فيما طبع من تفسيره الذي يقارب نصفه، ينظر : فهرس الأعلام آخر (تفسير يحيى بن سلام) ٢/ ٨٩٣.

(٤) أما قول ابن تيمية في مقدمته ص٦٢، وفتاواه ١٣/ ٣٥٨ عن تفسير الطبري: «وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير (لعل المراد ابن سليمان)، والكلبي» = فلعل المراد الاعتماد عليها وكثرة إيرادها، أو روايتها مفردة، ولهذا قال ﷺ في موضع آخر من فتاواه ١٦/ ٥٤٠: « ونقل مقاتل وحده مما لا يعتمد عليه باتفاق أهل الحديث كنقل الكلبي، ولهذا كان المصنفون في التفسير من أهل النقل لا يذكرون عن واحد منهما شيئا ، كمحمد بن جرير وعبدالرحمن بن أبي حاتم و أبي بكر بن المنذر، فضلا عن مثل أحمد بن حنبل و إسحاق بن راهويه».

(٥) ينظر تفسير الطبري: ١/ ٢٣٨، ٩/ ٢٩١،٣٢٢، ١٠/ ٥٢١،٥٦١،٥٧٢، ١١/ ٣٩، ١١٨، ١٣٤، ٢٩٤، ١٢/ ٤٦٩، ٤٧٥، ١٣/ ٥٣٦، ١٤/ ٢٩، ١٩٣، ١٥/ ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٥١، ١٦/ ١٢٩، ٥٦٥، ١٧/ ٣٩٩، ١٩/ ١٩٥، ٢٢/ ٣١١، ٦٠٤، ٢٣/ ١٦٠، ٢٢٣، ٣٢٦، ٣٢٩، ٢٤/ ٨٨، ١٣٩، ١٧٤، ٢٢١، ٣٩٥، ٣٩٩، ٥٠٢، ٥٢٤، ٥٤٨، ٥٧٥، ٦٥٢. يلاحظ أن منها ما هو من مروياته عن أبي صالح عن ابن عباس، كما أن منها ما هو في المبهمات مثل ١/ ٢٣٨.، وأسباب النزول مثل: ١٠/ ٥٧٢، ١١/ ١١٨ مقرونا بقتادة، ١١/ ٣١١، ٢٣/ ١٦٠. وقد يكون إيراده لهذه الروايات من باب الشواهد والمتابعات والاعتضاد، والمسألة تحتاج إلى تحرير.

وربما أبهمه في بعض المواضع (١)، كما روى عنه عبد بن حميد في تفسيره، منها ما هو من مروياته من تفسير ابن عباس من طريق أبي صالح (٢)، ومثله ابن المنذر (٣)، أما الثعلبي فهو أكثر من نقل تفسيره رواية ودراية ، فقد بلغت مروياته عنه أكثر من ٤٥٠ رواية، وقد أورد سنده إليه في مقدمته (٤)،كذلك نقل تفسيره بعض المتأخرين، كابن كثير (٥)، والسيوطي في الدر المنثور.

ويبدو أن التواصي باتقاء تفسيره قد وصل إلى المعاصرين! فلم أقف على معاصر احتفى بتفسيره أو حاول جمعه كما جُمِع تفسير أعلام مفسري السلف الآخرين، والله أعلم.

الخلاصة :

مما سبق يتبين أنه لا ينبغي اطراح تفسير الكلبي بالكلية، بل يروى تفسيره الاجتهادي وآراءه في التفسير، وينتقى منها، ويؤخذ بها إذا كانت معتمدةً على اللغة ولم تتضمن ما يُنكر، ولا يضر كونه معروفا بالكذب، إذ المنقول هو قوله واجتهاده لا قول غيره، وأغلب ما رواه أساطين أئمة التفسير المسندين عنه هو من هذا الباب، نحو ما نقله الطبري من تفسير قوله تعالى: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ [الأنعام :٧٠] قال: أن تجزى (٦)، وتفسيره لقوله تعالى: ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود :٦٩]، قال: الحنيذ الذي يحنذ في الأرض (٧)، وتفسيره لقوله تعالى ﴿سُكِّرَتْ﴾ [الحجر :١٥] قال :عميت (٨).

---

(١) من ذلك ١٥/ ٢٤٦ في تفسير سرادقها، ومثله أيضا ٢/ ٢٣٣.

(٢) ينظر مثلا: قطعة من تفسير ابن حميد ص١٠٣، ١٣٠ ، الدر المنثور ١١/ ٤٦٤.

(٣) ينظر مثلا: تفسير ابن المنذر ١/ ٨٥، ١٦٢، ٢٥٩، ٣٠٣، ٣٣٠، ٢/ ٦٩١، ٧٣٥، ٧٤٦، ٨١٤، ٨٢١.

(٤) ينظر : مقدمة الكشف والبيان، تحقيق د. خالد بن عون العنزي، ص٣٠. أيضا ممن أكثر عنه قبل الثعلبي أبو الليث السمرقندي في تفسيره (بحر العلوم).

(٥) في مواضع معدودة، منها:١/ ١٠٢، ٥/ ٣٦، وكثيرا ما كان ينبه على ضعف طريق تلك المرويات ، وما فيها من غرائب.

(٦) تفسير الطبري ٩/ ٣٢٢ .

(٧) تفسير الطبري ١٤/ ٢٩.

(٨) تفسير الطبري ١٢/ ٦٩.

بل ربما يؤثر عنه من التفسير الجيد ما لا تجده عند غيره من السلف، نحو تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:٨٨]، قال: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم[١].

كل ما سبق يدل على قيمة تفسير الكلبي وأهميته ، وأؤكد ما ذكرت بأمور، منها:

١. أنه نقل تفسيرَه ثلاثةٌ من أتباع التابعين ممن وقفنا على تفاسيرهم، منهم الثقات المعتد بأقوالهم، وهم سفيان الثوري (ت١٦١) ويحيى بن سلاّم (ت٢٠٠) وعبدالرزاق (ت٢١١)، قال الحافظ ابن حجر: «وممن روى التفسير عن الكلبي من الثقات سفيان الثوري، ومحمد بن فضيل بن غزوان[٢]»، وهؤلاء ممن عاصروه أو رووا عمّن عاصره، فلا شك أنهم أدرى بتفسيره ممن بعدهم.

٢. ما ورد عن بعض كبار المحدثين من ثناء على تفسيره وارتضائه أو غض الطرف عنه، من ذلك:

- ما روى ابن جرير بسنده عن سعيد بن بشير عن قتادة (ت١١٧) قال: «ما أرى أحدا يجري مع الكلبي في التفسير في عنان»[٣].

- ما روى ابن جرير- أيضا- بسنده عن أبي بكر بن عياش (ت١٩٤) قال: «سألني الأعمش [ت١٤٨] عن﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾، فأجبته، فقال لي سل عنها الكلبي،

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٥٢، ٢/ ٩٤، عن معمر بن راشد، وابن المنذر من طريق عبد الرزاق ٢/ ٧٣٥، كما أخرجه الطبري مبهما - بعد أن روى قول قتادة من طريق معمر- بقوله: قال معمر: وقال غيره... ٢/ ٢٣٣، وذكره البغوي موقوفا على معمر١/ ١٢٠. وقد رجح الطبري نحو هذا القول، بعد أن ضعَّف قول قتادة بأن المقصود لا يؤمن منهم إلا قليل.

(٢) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٢١٠.

(٣) تفسير الطبري : ١/ ٤١ ، ذكره في مقدمته تحت فصل عنون له : «ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محمودا علمه بالتفسير ومن كان منهم مذموما علمه بذلك». وهي رواية غريبة! أن يثني عَلَمٌ من أعلام مفسري التابعين كقتادة (ت ١١٧)، على الكلبي! الذي ربما يكون في الأربعينات من عمره عند وفاة قتادة، ولو صَحَّ ذلك فإنما يدل على شهرة الكلبي ومكانته في التفسير حينئذ!

فسألته، فقال: الذين يجتنبون كبائر الإثم ، قال فرجعت إلى الأعمش ، فقال : نرى أنه كذلك ، ولم ينكره[1]».

- قول يحيى بن سعيد القطان: «تساهلوا في التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث»، ثم ذكر ليث بن أبي سليم، وجويبر بن سعيد، والضحاك، ومحمد بن السائب- يعني: الكلبي- وقال: «هؤلاء لا يُحمد حديثهم، ويكتب التفسير عنهم» [2].

- قول ابن عدي عنه : «حدَّث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير، وأما الحديث ففيه مناكير» [3].

- قول الذهبي: «وهو آية في التفسير واسع العلم على ضعفه» [4].

---

(١) المرجع السابق ١/ ٢٣٨.

(٢) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٥ - ٣٧ ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، برقم ١٥٨٨.

(٣) تهذيب الكمال ٢٥/ ٢٥١.

(٤) تاريخ الإسلام ١٤ / ٤٤٨.

ثانيًا : مقاتل بن سليمان (ت١٥٠)

البلخي الأزدي مولاهم، ولد عام٨٠ أو قبلها[١] بمدينة بلخ بخراسان، وتوفي عام ١٥٠[٢] بالبصرة.

منزلته في الرواية وعقيدته:

محله عند المحدثين الكذب، حتى أجمعوا على تركه، كما ذكر الذهبي[٣]، وعن وكيع (ت١٩٧) أنه قال: «كان كذابا ، ليس حديثه بشيء»، وقال البخاري (ت٢٥٦): «منكر الحديث، سكتوا عنه»، وقال النسائي (ت٣٠٣): «الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة... »، وذكر منهم مقاتل[٤].

كذلك اتُّهم في عقيدته، بأنه كان مُجَسِّما يشبِّه الله بخلقه، فعن أبي حنيفة (ت١٥٠) أنه قال: «أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطِّل، ومقاتل مشبِّه». وسئل مرة عنهما فقال: «كلاهما مفرط، أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال: إنه ليس بشيء، وأفرط مقاتل حتى جعل الله مثل خلقه» [٥].

ولأجل كذبه وعقيدته تُرك حديثه والرواية عنه، حتى قال وكيع (ت١٩٧) عنه:

---

(١) تضاربت الأقوال في مولده، فبعضها يفيد أنه ولد بعد وفاة الضحاك بن مزاحم (ت١٠٢هـ أو ١٠٥هـ) وهو قول بعيد! وبعضها الآخر يفيد أن الضحاك توفي وهو صغير، بينما جاءت رواية غريبة تفيد أن الضحاك اطلع على تفسيره!وأنكر طريقته لأنه فسَّر كل حرف، ورجح د. عبد الله شحاتة أنه ولد عام ٨٠ أو قبلها لما روي عن أنه جادل الجهم بن صفوان (ت١٢٨) ووضع كل منهما كتابا ينقض على صاحبه، ويؤيده أنه عُمِّر حتى روى عن الكبار والصغار. ينظر قسم الدراسة من تفسير مقاتل بن سليمان ٥/ ٢٧-٢٩.

(٢) وهو المشهور عند أهل السير والتراجم، وأكَّده الهذيل بن الحبيب راوية تفسيره، إلا أن الذهبي يرى أنه توفي بعد ذلك حتى لقيه علي بن الجعد (١٣٤هـ- ٢٣٠هـ). ينظر: تاريخ الإسلام ١٦/ ٢٢٨، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٣٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٢.

(٤) ينظر كل ذلك في تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٤٥.

(٥) المرجع السابق ٢٨/ ٤٤٠.

«لو كان أهلا أن يروى عنه لروينا عنه» [١].

ومع ما سبق فقد كان واسع المعرفة والاطلاع، حتى قال عنه مقاتل بن حيان (ت١٥٠): «ما وجدت علم مقاتل في علم الناس إلا كالبحر الأخضر في سائر البحور» [٢].

مكانته في التفسير :

أما تفسيره فله شأن آخر، حيث أثنى عليه كثير من معاصريه ومن بعدهم، فهذا عباد بن كثير(ت بعد ١٤٠) يقول: «ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من مقاتل» [٣]، وقال عبد الله بن المبارك (ت١٨١) حين رأى تفسيره: «يا له من علم لو كان له إسناد»، وقال الذهبي: «قال ابن المبارك -وأحسن-: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة؟» [٤]، وقال حماد بن حنيفة: «مقاتل أعلم بالتفسير من الكلبي» [٥]، وعن نعيم بن حماد (ت٢٢٨) أنه رأى كتابا لمقاتل بن سليمان عند سفيان بن عيينة (ت ١٩٨) فقال : يا أبا محمد تروي لمقاتل في كتاب التفسير؟ قال: «لا؛ ولكن أستدل به وأستعين» [٦]، كما تعددت الروايات عن الشافعي(ت ٢٠٤) في قوله: «الناس عيال في التفسير على مقاتل بن سليمان» [٧]، وسئل الإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤٣) عنه فقال: «كانت له كتب ينظر فيها، إلا أني أرى أنه كان له علم بالقرآن» [٨].

وقال عنه الخليلي: «محله عند أهل التفسير محل كبير، وهو واسع، لكن الحفاظ ضعفوه في الرواية» [٩]، ووصفه الذهبي فقال: «كبير المفسرين» [١٠].

---

(١) المرجع السابق : نفس الصفحة.

(٢) المرجع السابق ٢٨/ ٤٣٦.

(٣) تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٣٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠١، وينظر: تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٣٧.

(٥) تهذيب التهذيب ٩/ ١٩٩.

(٦) تاريخ دمشق ٦٠ / ١١٧، تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٣٦.

(٧) المرجعان السابقان.

(٨) المرجعان السابقان.

(٩) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٠٢.

(١٠) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠١.

ويفهم من كلام ابن المبارك السابق أن سبب ترك بعضهم لتفسيره هو ضعفه وتركه للإسناد في روايته، وترك عزو الأقوال لأصحابها، ثم إضافة تفسيره الاجتهادي إليها، فخرج تفسيره مختلطا لا يدرى تفسيره من تفسير غيره، قال إبراهيم الحربي (ت٢٨٥) : «إنما جمع مقاتل تفسيره وفسَّر عليه من غير سماع، ولو أن رجلا جمع تفسير معمر عن قتادة، وشيبان عن قتادة كان يحسن أن يُفسِّر عليه»[(١)]، والناظر في تفسيره المطبوع بين أيدينا يجد مصداق ذلك، فقد أورد في مقدمته من روى عنهم التفسير من التابعين وغيرهم دون إسناد إليهم[(٢)]، ثم تجده في ثنايا تفسير الآيات يندر أن ينسب تفسيرا لأحد أو يورد إسناده! مع أن فيه ما هو من قبيل الرواية، كأسباب النزول، وتحديد المبهمات، وتعيين من نزلت فيهم الآيات.

موقف أئمة التفسير منه:

من خلال المعطيات السابقة عن رواية مقاتل للتفسير دون إسناد أو عزو الأقوال لأصحابها، مع ما عرف عنه من الكذب في الرواية، إضافة إلى ما اشتهر عنه من المعتقد الرديء = يبدو أن أئمة المفسرين من نقلة التفسير المأثور اطَّرحوا تفسيره رواية ودراية، إلا القليل منهم، فلم أقف على شيء منه عند الثوري (ت١٦١) في تفسيره ، ولا عبد الرزاق (ت٢١١) ، مع أنهما نقلا عن الكلبي (ت١٥٦) كما تقدم، وقال إبراهيم الحربي(ت٢٨٤):«لم أدخل في تفسيري منه شيئا»[(٣)]، وهذا إمام المفسرين ابن جرير الطبري لم يرو عنه[(٤)]، كذلك لم أقف على رواية عنه في المطبوع بين أيدينا من تفسير عبد بن حميد، وابن أبي حاتم -الذي اعتنى بتفسير معاصره

(١) تاريخ دمشق ٦٠ / ١١٩.

(٢) تفسير مقاتل ١/ ٢٥-٢٦.

(٣) تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٣٨.

(٤) وقفت على رواية يتيمة في تفسير الطبري منسوبة إلى مقاتل دون تعيين ١٥/ ٢١٢، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ﴾ حيث روى بسنده عن سفيان عن مقاتل قال: «اسمه: يمليخ »، وهو كذلك في تفسير مقاتل بن سليمان المطبوع ٢/ ٥٧٩.

وسَـمِـيِّه مقاتل بن حيان[1]-، وابن المنذر، وكذا المتأخرون كابن كثير الذي لم يرو عنه إلا بضعة مواضع[2]، ومثله السيوطي في الدر المنثور[3].

أما من اعتنى بتفسير مقاتل رواية ودراية؛ فإن من أكثرهم الثعلبي(ت٤٢٧) في تفسيره (الكشف والبيان)، وقد أشار إليه في مقدمته ضمن مصادره، ساردا ثلاثة أسانيد إليه[4]، كما اعتنى به الواحدي (ت٤٦٨) تلميذ الثعلبي في كتابه (أسباب النزول) -تبعا لشيخه- حيث أكثر عنه[5]، وكذا البغوي (ت٥١٦) في تفسيره من طريق الثعلبي[6].

تفسير مقاتل ومنهجه فيه ومزاياه:

مع طرح أغلب المفسرين لتفسير مقاتل وعدم اعتنائهم بنقله والإفادة منه؛ فقد شاء الله أن يصلنا تفسيره كاملا! دون تفاسير معاصريه! وقد حققه د. عبد الله محمد

(١) وغالبا ما يطلق اسمه دون تعيين، وليس في ذلك التباس بمقاتل بن سليمان! لأن ابن أبي حاتم لا يروى إلا عن ابن حيان، ومن هنا لو أبهمه السيوطي-أو غيره- وعزا الرواية لابن أبي حاتم فالمراد ابن حيان؛ لكن يبقى الإشكال عند الثعلبي ومن نقل عنه كتلميذه الواحدي والبغوي-وكذا السيوطي إذا لم يعز لابن أبي حاتم- إذا أطلقوا مقاتلا دون تعيين فمن المراد؟ من خلال تتبعي لبعض ذلك يبدو أن الأغلب عند إطلاقهم مقاتلا أنه ابن سليمان، أما ابن حيان فغالبا ما يقيَّد عندهم، والمسألة تتطلب تتبعا وتحريرا.

(٢) أغلبها في جزء (عم) نقلا عن البغوي، ينظر تفسير ابن كثير ٨/ ٢٧١، ٢٧٣، ٣٢٢، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦.

(٣) أغلبها معزوة إلى البيهقي، ينظر: الدر المنثور٤/ ٣١٤، ١٢/ ٢٥، ١٥/ ٤١٨، وجميعها من طريق البيهقي، مما يُغلِّب القول بعدم وقوف السيوطي على تفسير مقاتل! ويؤكده عدم إيراده ضمن مصادره في التفسير في مقدمة الدر المنثور.

(٤) ينظر: مقدمة (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) تحقيق: د. خالد عون العنزي، وأول هذه الطرق طريق الهذيل بن حبيب عن مقاتل عن ثلاثين رجلا منهم اثنا عشر رجلا من التابعين، وبهذه الطريق وردت الرواية المطبوعة بين أيدينا بتحقيق د. عبد الله شحاتة، مما يؤكد صحة نسبة هذا التفسير إلى مقاتل.

(٥) أحصى له محقق الكتاب د. ماهر الفحل ٣٤ نصا في أسباب النزول، لم يسند واحدا منها! ويأتي بهذا في المرتبة الثالثة بعد الكلبي والسدي ممن هم أكثر من روى لهم الواحدي في أسباب النزول، ينظر مقدمة محقق الكتاب ص٥٨.

(٦) برواية الهذيل بن حبيب، ينظر مقدمة تفسير البغوي التي ذكر فيها مصادره وأسانيده إليها ١/ ٣٦.

شحاتة قديما بعد أن درس منهجه في أطروحته للدكتوراه بجامعة القاهرة (عام١٩٦٨م)، ثم طبع بعد ذلك بمدة في أربعة مجلدات وأفرد المجلد الخامس لقسم الدراسة، وهو من رواية الهذيل بن حبيب (ت١٩٠)[(١)].

ونوجز منهج مقاتل في تفسيره وما تميز به فيما يلي:

١- أنه تفسير كامل لآيات وسور القرآن مرتبا بحسب ترتيب سوره، **وبهذا هو أول تفسير كامل للقرآن يصل إلينا.**

٢- يمزج بين الآية وتفسيرها في سياق واحد – أشبه بالشرح الممزوج عند المتأخرين- بأسلوب سهل ميسر، يفهمه العامة والخاصة.

٣- أنه تفسير أثري ونظري، يجمع بين المنقول والمعقول، فأما آثاره المروية فيرويها غُفلا دون نسبة لقائليها، أو إسناد إليهم -كما تقدم- **وقد يكون بهذا أول من فتح باب حذف أسانيد التفسير** وإدراج مرويات التفسير دون عزو.

ولا شك أن مروياته تتطلب دراسة وتخريجا وبحثا عن شواهد ومتابعات خصوصا ما له حكم الرفع كأسباب النزول وتسمية من نزلت فيهم الآيات[(٢)]، وغيره مما لا يدخل فيه الاجتهاد كالنسخ وتعيين المبهمات، لا سيما أنه انفرد في ذلك بمرويات لا تكاد تجدها عند غيره!

٤- تكثر في مروياته القصص والأخبار الإسرائيلية، مع ترك عزوها وعدم ذكر مصدرها ونسبتها لقائليها، خصوصا في تعيين المبهمات -التي غالبا لا يحتاج إلى

---

(١) صدرت عن مؤسسة التاريخ العربي : بيروت- لبنان، عام ١٤٢٤هـ -٢٠٠٢م . ويحسن التنبيه على أن تفسير مقاتل يحتاج إلى إعادة تحقيقه ودراسته دراسة علمية مقارنة، نظرا لأنه حقق قديما، وقد صدرت كثير من التفاسير والكتب المعتمدة في التحقيق بعد ذلك- ومن أهمها تفاسير المفسرين الذين نقلوا تفسيره ومروياته كالثعلبي والواحدي- وذلك للموازنة بينها وبين تفسيره، فقد نقل الثعلبي مرويات عديدة لمقاتل لا تجدها في تفسيره المطبوع، وبعضها فيه نكارة، ينظر من ذلك: الكشف والبيان ٦/ ٩.

(٢) ويكاد تفسير مقاتل أن يكون خاصا بهذين الأمرين، ينظر: تفسير مقاتل ٥/ ١٣٦ (قسم الدراسة).

معرفتها-[1]، ويبدو أن سبب ذلك ما ذكره ابن حبان عنه حيث قال: «كان يأخذ عن اليهودي والنصراني من علم القرآن ما يوافق كتبهم» [2].

٥- تميز تفسيره النظري بمزايا لم يسبق إليها، من أبرزها: الاعتناء بتفسير القرآن بالقرآن، وبيان الوجوه والنظائر[3].

٦- تميز أيضا بذكر مقدمة لكل سورة يبين فيها كونها مكية أو مدنية وما استثني في ذلك من آياتها، إضافة إلى بيان عدد الآيات حسب العد الكوفي مصرحا بنسبة ذلك! **وقد يكون أول من أدرج مقدمات السور في كتب التفسير**[4].

والخلاصة أن تفسير مقاتل النظري الاجتهادي تفسير نفيس، يشهد لذلك ما وجد فيه من بيان ميسر موجز، ينِمُّ عن علم وتمكّن كما وصفه كثير من السلف، ومن هنا ينبغي نقله والإفادة منه وعدم اطّراحه مطلقا، إلا ما وُجد فيه نكارة، ولا يضر كونه معروفا بالكذب، إذ المنقول هو قوله واجتهاده لا قول غيره، بخلاف رواياته ونقوله فلا يعتمد عليها إذا انفرد بها[5].

---

(١) ومن يقرأ تفسيره لسورة الكهف – مثلا- يقف على عجائب في ذلك، وقد أورد محقق تفسيره د. عبد الله شحاتة أمثلة كثير لذلك في دراسته. ينظر: المرجع السابق ٥/ ٢٢٠-٢٢٩.

(٢) تاريخ الإسلام ١٦/ ٢٢٨.

(٣) وقد أحصى د. عبد الله شحاتة ٢٤٠ موضعا في تفسيره ، والجدير بالذكر أن لمقاتل كتابا مطبوعا خصَّه في الوجوه والنظائر، وهو من أوَّل من ألَّف في هذا العلم كما سيأتي بيانه، وينظر: البرهان للزركشي ١/ ١٠٢.

(٤) هذا إذا سلَّمنا أن ذلك من صنيعه، وليس من صنيع رواة تفسيره: الهذيل بين حبيب ومن بعده! فهناك مواضع كثيرة مدرجة ضمن تفسيره ليست منه جزما، لأنها منسوبة لمن جاء بعده كالفراء (ت ٢٠٧هـ)، وثعلب (ت ٢٩١)، وغيرهما. ينظر مثلا: ٢/ ٢٩٨، ٣/ ٦٢٠ ، ٦١٢.كذلك أدرجت فيه آثار عن السلف من غير طريق مقاتل، وإنما من طريق بعض معاصريه كالكلبي! ينظر مثلا:١/ ٣٢٦، ٢/ ٦٠٦، ٦٠٧، ٤/ ٢٩٩، مما يدل على أن في هذا التفسير إدراج كثير وليس خالصا لمقاتل! وهذا يستدعي إعادة دراسة وتحقيق هذا الكتاب لتحديد ما لمقاتل من تفسير وما ليس له، وهل هذا هو تفسيره كاملا؟!

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه ١٦/ ٥٤٠ في معرض بيانه لقوله تعالى:﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾: «والقول بأنه إنما خاطب بها معينين قول لم يقله من يعتمد عليه، ولكن قد قال مقاتل بن سليمان: إنها=

أما ما نُسِب إليه من عقيدة التشبيه والتجسيم الشنيعة فينبغي تحرير ذلك، ويبعد أن يصل إلى ذلك الحد[(١)]، والناظر في كتبه المطبوعة لا يجد منه شيئا[(٢)]، بل ورد ما يدل على أنه برّأ نفسه من تلك التهمة، حيث سأله الخليفة: بلغني أنك تُشَبِّه! فقال: إنما أقول: « ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ، فمن قال غير ذلك فقد كذب» [(٣)].

❁ ❁ ❁

=نزلت في أبي جهل و المستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد، **ونقل مقاتل وحده مما لا يعتمد عليه باتفاق أهل الحديث** كنقل الكلبي، ولهذا كان المصنفون في التفسير من أهل النقل لا يذكرون عن واحد منهما شيئا كمحمد بن جرير، وعبدالرحمن بن أبي حاتم، و أبي بكر بن المنذر، فضلا عن مثل أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه».

(١) خصوصا أنه كان في مقام مناظرة الجهم بن صفوان المعطل، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس في هذا الباب، حيث قال بعد ما ذكر ما نسب إلى مقاتل وإلى داود الجواربي من المقولة الشنيعة المنكرة في التشبيه والتجسيم: «قلت: أما داود الجواربي فقد عُرف عنه القول المنكر الذي أنكره عليه أهل السنة، وأما مقاتل فالله أعلم بحقيقة حاله! والأشعري ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة، وفيهم انحراف على مقاتل بن سليمان! فلعلهم زادوا في النقل عنه، أو نقلوا عن غير ثقة، **وإلا فما أظنه يصل إلى هذا الحد**، وقد قال الشافعي: من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة. ومقاتل بن سليمان وإن لم يكن ممن يحتج به في الحديث - بخلاف مقاتل بن حيان فإنه ثقة- لكن لا ريب في علمه بالتفسير وغيره، واطلاعه، كما أن أبا حنيفة وإن كان الناس خالفوه في أشياء وأنكروها عليه فلا يستريب أحد في فقهه وفهمه وعلمه، وقد نقلوا عنه أشياء يقصدون بها الشناعة عليه وهي كذب عليه قطعا مثل مسألة الخنزير البري ونحوها، وما يبعد أن يكون النقل عن مقاتل من هذا الباب». ينظر: منهاج السنة النبوية ٢/ ٢٩٤، وينظر أيضا: ٥/ ١٥١.

(٢) وقد أثبت بعض الباحثين المعاصرين في أطروحته الجامعية براءة مقاتل من ذلك القول الشنيع بعد أن تتبع تفسيره لآيات الصفات في كتبه المطبوعة فوجدها خالية خلوا تاما من مقالة التشبيه والتجسيم، وأنه يثبت لله تعالى صفاته كما وردت من غير تشبيه ولا تعطيل، على الوجه اللائق به سبحانه. ينظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها، د. جابر بن إدريس بن علي أمير ١/ ٣٢٧- ٣٣٩، وينظر أيضا شهادة د.عبد الله شحاتة في ذلك: تفسير مقاتل ٥/ ٩٠- ٩٥، ١٨٨- ١٨٩.

(٣) تهذيب الكمال ٢٨ / ٤٣٩، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٨٢.

ثالثًا : مقاتل بن حيان (ت١٥٠)

أبو بسطام البلخي النبطي الخراز مولى بكر بن وائل، روى عن سعيد بن المسيب وأبي بردة بن أبي موسى ومجاهد وعكرمة وسالم بن عبد الله بن عمر وشهر بن حوشب وقتادة والضحاك بن مزاحم وعمر بن عبد العزيز وجماعة، وعنه عبد الله بن المبارك وبكير بن معروف وإبراهيم بن أدهم وأبو عصمة نوح بن أبي مريم وغيرهم، وروى عنه الجماعة سوى البخاري، توفي في حدود الخمسين ومئة[(١)] .

منزلته في الرواية :

وثقه يحيى بن معين وأبو داود، وقال النسائي: «ليس به بأس»، وقال الدارقطني : «صالح»، وذكره ابن حبان في الثقات[(٢)]، وقال عنه الذهبي: «الإمام العالم المحدث، الثقة»[(٣)].

وقد كان من العلماء العاملين، ذا نسك وفضل، صاحب سنة، هرب من خراسان أيام أبي مسلم الخراساني، إلى بلاد كابل، فدعاهم إلى الله، فأسلم على يده خلق[(٤)].

مكانته في التفسير:

كان رحمه محدثا مفسرا، واشتهر بالتفسير حتى كان يطلق عليه البعض عند ذكره : صاحب التفسير[(٥)]، وقال ابن حبان: كان ممن عنى بعلم القرآن[(٦)].

تفسيره:

أما تفسيره فقد نقله عنه تلميذه معروف بن بكير (ت١٦٣)[(٧)]، وقد أورد الثعلبي

---

(١) ينظر: تهذيب الكمال ٢٨ / ٤٣١، وتهذيب التهذيب ١٠ / ٢٤٨.
(٢) ينظر: الثقات ٧/ ٥٠٨، والمرجعان السابقان.
(٣) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٤٠.
(٤) المراجع السابقة.
(٥) ينظر مثلا قول الخطيب البغدادي عنه عند ترجمة أخيه يزيد: تاريخ بغداد ١٤/ ٣٣٢ .
(٦) مشاهير علماء الأمصار ٢/ ١٩٥.
(٧) البلخي الأزدي، ويقال : الدامغاني، كان على قضاء نيسابور، ثم سكن دمشق، قال عنه ابن حجر: صدوق فيه لين. توفي عام ١٦٣ . ينظر: تهذيب الكمال ٤/ ٢٥٢ ، تقريب التهذيب (٧٧٦).

إسناده إليه في مقدمة تفسيره[١]، وكذا البغوي من طريقه[٢]، مما يثبت وجود كتاب تفسير مستقل له[٣]؛ لكنه لم يصلنا[٤].

موقف المفسرين من تفسيره ومنهجه فيه:

نظرا لما اشتهر به من علم التفسير إضافة لما عرف عنه من العلم والعمل والصدق والصلاح والفضل مع توثيق أغلب المحدثين له = فقد اعتنى المفسرون المتقدمون والمتأخرون بتفسيره ، وأكثر من اعتنى منهم بنقله ابن أبي حاتم في تفسيره[٥]، وبهذا حفظ لمن بعده تفسير مقاتل[٦]، كذلك روى له ابن المنذر روايات عديدة[٧].

---

(١) ينظر: مقدمة الكشف والبيان عن تفسير آي القرآن لأبي إسحاق الثعلبي، تحقيق: د. خالد بن عون العنزي، ص٦٩.

(٢) تفسير البغوي ١/ ٣٦.

(٣) ويؤيد ذلك قول الداودي: «له تفسير». طبقات المفسرين ١/ ٣٢٩. وقول فؤاد سزكين عنه في تاريخ التراث العربي / ١٩٧: «ومن الكتب التي حصل الخطيب البغدادي في دمشق على إجازتها وروايتها». وقد رجح صاحب رسالة (أقوال مقاتل بن حيان في التفسير جمع ودراسة مقارنة) ص١٩ عدم وجود تفسير مستقل له!؟

(٤) وقد جمع تفسيره في عدة رسائل جامعية، منها: (أقوال مقاتل بن حيان في التفسير جمع ودراسة مقارنة) رسالة ماجستير من إعداد: محمد بن سالم محمد البيضاني الزهراني، كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٢٣هـ. كذلك في عدة رسائل في جامعة الأزهر ينظر: موقع هدي الإسلام
http://www.hadielislam.com/arabic/index.php?pg=rasael%2Fresala&id=8184
http://www.hadielislam.com/arabic/index.php?pg=rasael%2Fresala&id=8230

(٥) حيث أحصى له د. محمد عبد الله الخضيري ٧٦٤ رواية من مجموع ٣٤٠٨ أثرا من تفسير تابع التابعين وذلك مما طبع من تفسيره، وهو بهذا أكثر من روى له ابن أبي حاتم من أتباع التابعين، وهذا بخلاف رأي د. محمد عبد الله الخضيري في كون الضحاك من أتباع التابعين والذي جاء في المرتبة الأولى بناء على ذلك. ينظر: التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم ص٨٨. ومن طريق ابن أبي حاتم أورد ابن كثير والسيوطي في الدر المنثور معظم تفسير مقاتل.

(٦) فقد أورد ابن كثير في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور معظم تفسير مقاتل من طريق تفسير ابن أبي حاتم.

(٧) ينظر مثلا في القطعة المطبوعة من تفسيره: ٢/ ٦٧٩، ٧٨٠، وفي الدر المنثور ١/ ٢٨٨، ٢/ ٥٧٢، ٦٥٦، ٦٩٠.

أما ابن جرير فلم ينقل عنه إلا مواضع معدودة[1]، وتقدم أن الثعلبي اعتمد عليه في مصادره، وكذلك البغوي[2]، والواحدي تلميذ الثعلبي[3].

أما المتأخرون فقد اعتنوا بإيراد رواياته، خصوصا ابن كثير[4]، والسيوطي في الدر المنثور[5].

كل ذلك يدل على اطمئنان المفسرين لهذا العَلَم ورضاهم عن تفسيره، وهذا حق! فمن اطلع على بعضه يرى أن منهجه قائم على طريقة السلف المتميزة بالسهولة والإيجاز، وإبراز المعاني الأساسية المقصودة من الآيات، والتعمق في استنباط المعنى، والاعتناء بالمأثور عن الصحابة والتابعين، وعدم الشذوذ عن آرائهم، إضافة إلى الرأي الحسن المحمود البعيد عن الغرائب والشواذ.

وقد حفل تفسيره بروايات أسباب النزول، وكان له اعتناء خاص بذلك، مع الاستعانة بها في التفسير والتوضيح، إلا أنه كثيرا ما يوردها دون إسناد[6]، ولا شك أن هذا مما يعاب عليه.

---

(١) وقد أحصيت له ٤ مواضع من تفسيره هي: ١١/ ٢٤٠، ١١/ ٤٦٩، ٢١/ ٣٢٢، ٢٤/ ٢٧، و٥ مواضع من روايته، هي: ٩/ ٩٢ (وفيه تصريح منه أنه أخذ هذا التفسير عن مجاهد والحسن والضحاك)، ١٣/ ٦٨٢، ٢٠/ ٢٢٩، ٢٢/ ٤٦٨، ٢٤/ ٢٩٩.

(٢) أحصى له صاحب رسالة (أقوال مقاتل بن حيان في التفسير: جمع ودراسة مقارنة) (ص٥٣) ٥٨ قولا في تفسيره.

(٣) أحصى د. ماهر الفحل محقق كتاب أسباب النزول له ٥ روايات ص٥٨ .

(٤) أحصيت له في تفسير ابن كثير ٦٩ قولا صرح فيه باسمه ، وقد ذكر صاحب رسالة (أقوال مقاتل بن حيان في التفسير جمع ودراسة مقارنة) ص٥٢ أن ابن كثير من أكثر من أورد أقوال مقاتل بن حيان من المفسرين.

(٥) ينظر مثلا: ١/ ٣٤١، ٣٥٩، ٢/ ١٧٦، ٣٠٢، ٣٩٢.

(٦) ينظر مثلا: تفسير ابن أبي حاتم : ٨/ ٢٥٢٣، ٢٥٣٥، ٢٥٦٥،٢٥٥٤، تفسير البغوي ٦/ ٦٠، ٨/ ٩٨، ٨/ ٢٥٥، تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠٤، ٤/ ٣٥١.

رابعًا: ابن جُرَيْج (ت١٥٠)

عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْج الأموي مولاهم، رومي الأصل[١]، ولد بمكة عام ٨٠[٢]، وتوفي بها عام ١٥٠[٣]، قال عنه الذهبي: «الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي الاموي، المكي، صاحب التصانيف، وأول من دوَّن العلم بمكة»[٤].

حدّث عن عشرات من التابعين، ولازم عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤) سبع عشرة سنة، فأكثر عنه حتى حفظ لنا علمه من كثرة سؤالاته له، كما حدّث عن مجاهد[٥]، وابن أبي مليكة، وعمرو بن دينار، والقاسم بن أبي بزة وغيرهم[٦].

منزلته في الرواية :

كان ابن جريج من بحور العلم وأوعيته، وقد أثنى عليه جمع من أهل العلم ، فعن يحيى بن سعيد قال: «كنا نسمي كتب ابن جريج كتب الأمانة»، وقال أيضا: «كان ابن جريج صدوقا»، وقال علي بن المديني: «نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة»، فذكرهم، ثم قال: «صار علمهم إلى أصحاب الأصناف، ممن صنَّف العلم منهم من أهل مكة ابن جريج». وقال أحمد بن حنبل : «كان من أوعية العلم»، وعن يحيى بن معين أنه قال: «ابن جريج ثقة في كل ما روي عنه من الكتاب»[٧].

غير أنه اتهم بالتدليس، حتى حذّروا من عنعنته ، قال الذهبي: «الرجل في نفسه

---

(١) تهذيب الكمال ١٨/ ٣٣٨.

(٢) أجمعت كتب التراجم على ذلك، نظرا لاشتهار ذلك العام بعام الجحاف، نسبة للسيل العظيم الذي أصاب مكة عامئذ. ينظر: مقدمة تفسير ابن جريج ص٧.

(٣) فعاش سبعين سنة كالإمام أبي حنيفة مولدا ووفاة. ينظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٣٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٤.

(٥) وقيل إنه لم يسمع من مجاهد إلا حرفا. ينظر: تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٣٦.

(٦) ينظر مسرد لمشايخه في تهذيب الكمال ١٨/ ٣٣٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٥- ٣٢٦.

(٧) ينظر ذلك في سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٨- ٣٣٢.

ثقة، حافظ، لكنه يدلس بلفظة (عن)، و(قال)، وقد كان صاحب تعبد وتهجد، وما زال يطلب العلم حتى كبر وشاخ»(١). وحديثه في المسند والكتب الستة وغيرها من أمهات كتب الحديث.

تفسيره وموقف المفسرين منه:

تقدم أن ابن جريج أول من دوَّن العلم بالحجاز، وقد صنَّف في التفسير والسنن وغيرها، وذكرت له كتبُ التراجم ثلاثةَ أجزاء كبار في التفسير(٢)، وقد أورد الثعلبي تفسيره في مصادره(٣)، لكن لم يصلنا ذلك التفسير، وإنما وصلتنا آثار من روايته تفسير غيره واجتهادية من قوله؛ منثورة في كتب التفسير المأثور، وهي مرويات كثيرة، خصوصا ما رواه عن شيخه عطاء بن أبي رباح، ثم عن مجاهد، أما ما روي من تفسيره الاجتهادي فهو أقل(٤).

وممن اعتنى بإيراد تفسيره رواية ودراية تلميذه عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١)، فقد أورد ٤١ رواية منها ثلاثة روايات من تفسيره(٥). وبلغت أقواله في التفسير عند ابن جرير ٥٩٤ قولا(٦)، أما ابن أبي حاتم فقد روى ٣٩ قولا فقط من تفسيره، بينما اعتنى به باعتباره راوية للتفسير خصوصا عن عطاء بن أبي رباح ومجاهد(٧)،

---

(١) ينظر المرجع السابق ٦/ ٣٣٢.

(٢) الإرشاد للخليلي ١/ ٣٩٢.

(٣) من رواية محمد بن ثور الصنعاني. ينظر : مقدمة تفسير الثعلبي، تحقيق خالد العنزي ص ٧٩.

(٤) وقد حاول جمعها علي حسن عبد الغني في كتابه (تفسير ابن جريج)، وصدر عن مكتبة التراث الإسلامي بمصر عام ١٤١٣هـ.

(٥) هي في المواضع : ٢/ ٢٤٠، ٣/ ١٥١، ٣/ ٢٠٣.

(٦) وهو بهذا في المرتبة الثانية من بين من روى تفسيرهم من أتباع التابعين. ينظر: التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم ص٨٩، ويلاحظ أن د. محمد عبد الله الخضيري جعله في المرتبة الثالثة بعد ابن زيد والضحاك! لأنه يعد الضحاك من أتباع التابعين كما سبق.

(٧) ذكر د. محمد عبد الله الخضيري في بحثه (التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم ص٨٩) أن ابن أبي حاتم لم يورد شيئا من قول ابن جريج في التفسير، وإنما أورد له كَراوٍ للتفسير عن غيره! وقد عجبت من=

وأما ابن المنذر فربما يكون أكثر من اعتنى بتفسير ابن جريج رواية ودراية، إذ أحصيت له في القطعة المطبوعة من تفسيره١٠٧أقوال من تفسيره، إضافة إلى١٧٦رواية من مروياته[(١)].

كذلك اعتنى بتفسيره الثعلبي -كما تقدم- والبغوي تبعا له، ومن المتأخرين ابن كثير الذي اعتنى بإيراد تفسيره رواية ودراية حيث بلغت مروياته ٤٤٠رواية[(٢)]، وكذلك السيوطي في الدر المنثور[(٣)].

كل ذلك يدل على مدى اعتناء المفسرين بتفسير ابن جريج رواية ودراية، فهو بحق من أشهر مفسري كبار تبع الأتباع، وأكثرهم رواية في التفسير، كيف لا وهو إمام الحرم في عصره، ومحدثه، وفقيهه، ومفسره!

موضوعات تفسيره:

أما موضوعات تفسيره فقد طرق أغلب علوم التفسير من بيان الغريب، وإبراز أحكام القرآن[(٤)]، وبيان المضمرات، وتعيين المبهمات، وذكر أسباب النزول، إضافة إلى الأخبار والقصص، وسأقف عند هذا الموضوع، إذ افتُري على ابن جريج وعُدَّ من أقطاب الروايات الإسرائيلية[(٥)]، وقد نقض هذه الفرية العلامة عبد الرحمن بن

=ذلك فأدرت محرك البحث على كلمة (جريج) في النسخة الالكترونية من تفسير ابن أبي حاتم، ثم استعرضت النتائج وفحصتها؛ فتحصلت على ٣٩ قولا من تفسيره، منها ذات الأرقام: ١٠٧، ٨٣٥، ١٦٥٢، ١٠٧١٦، هذا إضافة إلى ٢٦٣ رواية عن غيره.

(١) هذا من مجموع ٢١٠٩ رواية وردت في القطعة، ويبدو أن سبب ذلك – والله أعلم – هو روايته من طريق محمد بن ثور الصنعاني (ت ١٩٠)– الذي تقدم أنه روى تفاسيره الثلاثة الكبار– بينما أغلب مرويات ابن جرير عنه من طريق حجاج بن محمد المصيصي (ت ٢٠٦).

(٢) أغلبها من باب الرواية، ومن أمثلة ما أورده من تفسيره دراية: ١/ ١٧٥، ١٧٨ وهو من رواية ابن أبي حاتم أورده ابن كثيره بسنده، ٢/ ٤٨١، ٣/ ١٢٨.

(٣) ينظر مثلا: ١/ ١٥٩، ٣٣٩، ٤٩٧، ٢/ ٤٩٥، ٥٣٤، ٣/ ١٦٦.

(٤) الذي شكّل حيزا كبيرا من تفسيره، ويظهر ذلك جليا في سؤالاته لشيخه عطاء ابن أبي رباح، فقد حفظ لنا علمه، واستخرج لنا آراءه الفقهية، وتفسيره لآيات الأحكام.

(٥) أورد ذلك بعض المعاصرين كالدكتور محمد حسين الذهبي(ت١٣٩٧) في كتابه (التفسير والمفسرون) ١/ ١٨٣،١٩٨، حيث جعل أقطاب الروايات الإسرائيلية أربعة: عبد الله بن سلام ﷺ، وكعب الأحبار=

يحي المعلمي (ت ١٣٨٦)، فقال عن ابن جريج في معرض رده على د. أبي رية: «وإنما هو من أتباع التابعين، ولا شأن له بالإسرائيليات، وكأن الدكتور اغتر باسم (جريج) فحشره في زمن هؤلاء، فجاء حاطب الليل فقال ص١٤٨: «وممن كان يبث في الدين الإسلامي مما يخفيه قلبه ابن جريج الرومي الذي مات سنة ١٥٠، وكان البخاري لا يوثقه، وهو على حق في ذلك»، وهذا مخالف للواقع فلم يعرف ابن جريج بالإسرائيليات إلا أن يروي شيئا عمن تقدمه، وهو إمام جليل يوثقه ويحتج به البخاري وغيره، ولم يجد أبو رية ما يحكيه عنه مما زعمه. ومن العجائب قوله في حاشية ص٢١٦: «ابن جريج كان من النصارى» هكذا يكون العلم! »[(١)].

ومن يستعرض تفسير ابن جريج لا يجد مثل ذلك التهويل، بل إن معاصريه: الكلبي، ومقاتل بن سليمان، وابن إسحاق؛ كانوا أكثر منه رواية للإسرائيليات والأخبار والقصص[(٢)]، واشتهروا بإيرادها دونه، والله أعلم.

=ووهب بن منبه، وابن جريج! وكذلك د. محمود أبو رية في كتابه: (أضواء على السنة المحمدية) ص١٦٢، نقلا – دون تحقيق علمي وتثبت – عن أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام) ٢/ ١٣٩ الذي قال في معرض ذكره لتضخم التفسير: «...وفي كل طبقة يتصل كثير من أفرادها بمسلمة اليهود والنصارى والمجوس، فاتصل بعض الصحابة بوهب بن منبه [!!]، وكعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، واتصل التابعون بابن جريج [!!]...». ولا يخفى ما في هذا الكلام من المغالطات والبعد عن التحقيق العلمي، ويبدو أن أحمد أمين هو أول من أضاف ابن جريج ضمن من اشتهر بنقل الإسرائيليات من مسلمة أهل الكتاب وجعله رابع ثلاثة ذكرهم ابن خلدون في مقدمته دون ابن جريج: ابن سلام ﷺ، وكعب ووهب رحمهما الله ، فقال في كتابه (فجر الإسلام) ص ٢٠٥: «... كما تتبعنا كثير من الآيات التي وردت عن النصارى فإذا كثير مما يرويه الطبري عن ابن جريج، ... ويقول الذهبي في تذكرة الحفاظ: إنه كان من أصل رومي، فهو نصراني الأصل... ».

(١) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة ص ٦١، ٦٢.

(٢) ذكر د. محمد عبد الله الخضيري في بحثه : (التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم)- ص٩١، ٩٢- أن مرويات ابن جريج للإسرائيليات بلغت عند ابن جرير ١٢٪ من نسبة الإسرائيليات التي رواها، فجاء في المرتبة الأولى في رواية أتباع التابعين للإسرائيليات، أما عند ابن أبي حاتم فقد بلغت ٠٥.٪ ، بينما بلغت عند معاصره ابن إسحاق ٠٩.٪، ١٢٪ على الترتيب، وهذا -إن كان دقيقا- لا يعارض ما ذكرنا! لأن ابن جرير وابن أبي حاتم لا يرويان عن الكلبي ومقاتل، وبالتالي سقطت رتبتهما المتقدمة في رواية=

خامسًا : محمد بن إسحاق (ت١٥٣)

بن يسار بن خيار، أبوبكر ، وقيل: أبو عبد الله المطلبي مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ﷺ ، كان جده يسار من سبي عين التمر، وولد ابن إسحاق عام ٨٠، وقيل إنه رأى أنس بن مالك بالمدينة(١)، وسعيد بن المسيب(٢).

وحدَّث عن عدد من التابعين، منهم : أبان بن عثمان، وسعيد المقبري، وعبد الرحمن بن هرمز، والزهري، وعمرو بن شعيب، وأبي جعفر الباقر، ومكحول، ومحمد بن المنكدر، وغيرهم(٣)، ورحل إلى كثير من البلاد، كالكوفة، والري، ومصر، وبغداد التي أقام بها آخر حياته حتى توفي عام١٥١، وقيل١٥٢، ١٥٣ (٤).

منزلته في العلم والرواية :

هو أوَّل من دَوَّن العلم بالمدينة، وله مكانة عظيمة عند أهل الحديث، نظرا لسعة روايته وكثرة من روى عنه، حتى قال علي بن المديني: «مدار حديث رسول الله ﷺ على ستة ، فذكرهم، ثم قال: فصار علم الستة عند اثني عشر، أحدهم محمد بن إسحاق»(٥)، بل رُوي عن الزهري أنه قال عنه: «لا يزال بالمدينة علم ما بقي هذا» (٦)، ووصفه شعبة بأنه أمير المحدثين لحفظه(٧).

وقد كان واسع العلم، متفننا ، لا سيَّما في السِّيَر والمغازي، فهو أول من جمعها كما

=الإسرائيليات عند كل منهما، فشغلها ابن جريج!

(١) ولهذا سلكه ابن حجر في صغار الطبقة الخامسة، وهي الطبقة الصغرى من التابعين! الذين رأوا الواحد والاثنين، ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة. تقريب التهذيب ص٤٦٧.

(٢) ينظر: تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠، سير أعلام النبلاء ٦ / ٣٤٠، طبقات المفسرين للأدنوي ١ / ١٩.

(٣) ينظر مسرد لشيوخه في سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٢.

(٥) المرجع السابق ٧ / ٣٦.

(٦) المرجع السابق ٧ / ٣٦.

(٧) المرجع السابق ٧ / ٤١.

ذكر ابن سعد[1]، وكان أعلم الناس بها كما روي عن الزهري[2]، وقال الشافعي: «من أراد أن يتبحر في المغازي، فهو عيال على محمد بن إسحاق» [3]، ومن أشهر مصنفاته كتابه (المغازي) الذي جعله في ثلاثة أقسام: المبتدأ، والمبعث، والمغازي[4]، وقد هذَّبه عبد الملك بن هشام(ت٢١٨) في كتابه الذي اشتهر بـ(سيرة ابن هشام)[5].

أما منزلته في الرواية فقد تضاربت أقوال أهل العلم في توثيقه، فقال يحيى بن معين: هو ثقة وليس بحجة، وقال أحمد بن حنبل: حسن الحديث، وقال علي بن المديني: حديثه عندي صحيح، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال الدارقطني: لا يحتج به، كما اتهمه بعض أقرانه ومعاصريه بالكذب، كهشام بن عروة (ت١٤٦)، والإمام مالك بن أنس (ت١٧٩)، وحُمِل كلامهم على أن قدح الأقران بعضهم في بعض لا عبرة به، ولا يلتفت إليه إلا ببيان وحجة، وهو مما يطوى ولا يروى، قال الذهبي بعد ذكر من جرحه: «وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأشياء، منها: تشيُّعه، ونُسِب إلى القَدَر، ويُدلِّس في حديثه، فأما الصدق، فليس بمدفوع عنه»[6]، وقال في موضع آخر: «الذي تقرر عليه العمل أن ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية مع أنه يشذ بأشياء، وأنه ليس بحجة في الحلال والحرام، نعم ولا بالواهي بل يستشهد به»[7]، وقال أيضا: «وليس بذاك المتقن فانحط حديثه عن رتبة الصحة، وهو صدوق في نفسه مرضي[8]».

---

(١) المرجع السابق ٧/ ٤٨.
(٢) المرجع السابق ٧/ ٣٦.
(٣) المرجع السابق ٧/ ٣٦.
(٤) وصلنا قسم من الكتاب برواية يونس بن بكير، طبعت قطعة منه بتحقيق د. محمد حميد الله بالمغرب، كما طبع طبعة أخرى بتحقيق د. سهيل زكار بدمشق.
(٥) قال الذهبي عنه في السير ١٠/ ٤٢٩: «هذب السيرة النبوية، وسمعها من زياد البكائي صاحب ابن إسحاق».
(٦) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩.
(٧) تذكرة الحفاظ ١/ ١٣٠.
(٨) المرجع السابق.

مكانته في التفسير وموقف المفسرين منه:

لم يرد عن ابن إسحاق أنه تصدّر للتفسير أو ألّف فيه، وإنما عرف عنه الرواية في الحديث، والتوسع في القصص والأخبار والسيرة، وما نقل عنه من تفسير فمما فسّره من الآيات المتعلقة بالقصص والمغازي والسيرة، إذ انتهج نهجا فريدا في معرض ذكره للمبتدأ والمبعث والمغازي، حيث كان يفسر الآيات المتعلقة بها ويربطها بمعاني القرآن، وأودع ما فسّر من آيات -رواية ودراية- في كتابه عن السيرة(١)، وقد أورد الثعلبي كتابه ضمن مصادره في التفسير من ثلاث طرق(٢)، ومن طريقه البغوي في تفسيره(٣)، كما نقل آثار ابن إسحاق في التفسير كثيرٌ من أئمة المفسرين، كابن جرير الطبري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، ، ومن المتأخرين ابن كثير، والسيوطي في الدر المنثور، رواية(٤) ودراية(٥).

---

(١) ينظر: مسرد للآيات المفسَّرة آخر كتاب السيرة لابن إسحاق ص٣٢٣-٣٢٤ ، تحقيق : د. محمد حميد الله معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، فاس المغرب ١٣٩٦/ ١٩٧٦م. أيضا ممن حفظ لنا هذا التفسير ابن هشام في سيرته المختصرة من سيرة ابن إسحاق.

(٢) ينظر: مقدمة الكشف والبيان عن تفسير القرآن:، ص١٤٥-١٤٩.

(٣) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٣٧.

(٤) من أشهر من نقل ابن إسحاق تفسيره: ابن عباس، وذلك من طريق مشهورة حسَّنها بعض أهل العلم، يروي فيها عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال السيوطي: «هي طريق جيدة وإسنادها حسن، وقد أخرج منها ابن جرير، وابن أبي حاتم كثيرا، وفي معجم الطبراني الكبير منها أشياء». الإتقان ٦/ ٢٣٣٦.

وقد نقل ابن كثير -وغيره- في تفسيره كثيرا منها بواسطة المصادر السابقة، مثل ١/ ١٧٢، ١٧٣، ١٧٧، ١٨١- ١٨٣، وكذلك السيوطي في (الدر المنثور)، لكن يلاحظ عزوه لابن إسحاق مباشرة كما في ١/ ١٢٩، ١٣٠، ١٣٧، ١٤٥، مع أنه لم يذكر كتابه ضمن مصادره في مقدمته! وربما كان ذلك بواسطة، لكن يرد أنه لم يصرح به! مع أنه عادة ما يصرح إذا كان نقله بواسطة، ينظر: مقدمة تفسير الدر المنثور للسيوطي بين المخطوط والمطبوع، ص ٢٤٦.

(٥) حاول محمد عبد الله أبو صعيليك جمع تفسيره الاجتهادي من تلك المصنفات، إضافة إلى سيرة ابن هشام، ونشرت الكتاب مؤسسة الرسالة ببيروت، عام ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، علما أن منهج جامعه كان بترك مرويات ابن إسحاق النقلية في التفسير، ومن ضمنها الإسرائيليات.

أما عن كونه مفسرا فإنه لم يفسر القرآن كاملا، ولم يتصدر للتفسير، ولم يؤلف فيه، وعليه فإن الحكم بأنه من المفسرين فيه تجوّز، وإنما اندرج ضمن مفسري أتباع التابعين لأن أئمة المفسرين نقلوا عنه الآيات التي فسرها، والمرويات التي لها علاقة بتلك الآيات؛ في سيرته، والأقرب أن يوصف بأنه مشارك في التفسير .

موضوعات تفسيره:

لو تتبعت ما روي من تفسيره الاجتهادي؛ أو نظرت في تفسيره الذي جُمع ستجد أنه لا يفسر إلا الآيات المتعلقة بالمغازي والسيرة وقصص القرآن، أما ما سوى ذلك فقليل جدا، فعلى سبيل المثال: سورة النساء من أطول سور القرآن تلاوة وتفسيرا، لم يورد له جامع تفسيره إلا تفسير ثلاثة مواضع، جميعها متعلقة بالمبدأ والسيرة والقصص[1]، لذا يمكننا القول إن تفسيره هو في الجانب التاريخي من القرآن المشتمل على القصص والسيرة النبوية، دون الجوانب الأخرى. وهو يُعنى عند تفسير تلك الآيات بأسباب النزول[2]، وتعيين من نزلت فيهم الآيات عناية بالغة، نظرا لأهميتها في السيرة، إضافة إلى بيان الغريب عند توضيح معنى تلك الآيات، أما في جانب قصص القرآن فهو يروي الكثير من الإسرائيليات، بعضها تُعزى إليه دون إسناد[3]، والبعض الآخر يسنده إلى من فوقه، خصوصا

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآية، وقوله : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ، المرجع السابق: ص٧٢.

(٢) وقد أحصى له د. ماهر الفحل في (أسباب النزول) للواحدي ٣٥ رواية، ينظر مقدمة تحقيق الكتاب ص٦٩، ٧٢.

(٣) ذكر د. محمد عبد الله الخضيري في بحثه : (التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم)، ص ٩١، أن ابن إسحاق أكثر أتباع التابعين رواية للإسرائيليات عند ابن أبي حاتم، فقد بلغت نسبت مروياته ٢١٪ من الإسرائيليات المذكورة في تفسيرهم، وبلغت نسبتها عند ابن جرير ٩٪ من الإسرائيليات المذكورة في تفسيره، فجاء في المرتبة الثانية عند ابن جرير في رواية أتباع التابعين للإسرائيليات، ولا يخفى أن ابن جرير وابن أبي حاتم لم يعتنيا بتفسير الكلبي ومقاتل الذَيْن قد يكونا أكثر رواية للإسرائيليات منه.

وهب بن منبه (ت١١٤)، فقد أكثر عنه رواية ذلك، كثير منها من طريق عبد الصمد بن معقل (ت١٨٣) ابن أخي وهب، كما عُرف عنه أنه كان يأخذ مباشرة عن أهل الكتاب، قال الفلاس : «العجب من رجل يحدث عن أهل الكتاب ويرغب عن شرحبيل»[١]، وعن ابن أبي فديك قال: «رأيت محمد بن إسحاق يكتب عن رجل من أهل الكتاب»[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧ / ٥٢.

(٢) المرجع السابق ٧ / ٥٣، وعقَّب الذهبي على ذلك بقوله: «هذا يُشَنِّع به على ابن إسحاق، ولاريب أنه حمل ألوانا عن أهل الذمة مترخصا بقوله ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

سادسًا : سفيان الثوري (ت١٦١)

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، من كبار أتباع التابعين، كان أبوه محدثا من صغار التابعين وثقات الكوفيين توفي عام ١٢٦[١].

ولد سفيان عام ١٩٧، وحدّث عن عشرات التابعين ومعاصريهم، كأبيه، وأبي إسحاق السبيعي، ومحمد بن المنكدر، وأبي الزناد، وسليمان التيمي، وزيد بن أسلم، وحميد الطويل، وحبيب بن أبي ثابت، وإسماعيل السدي، وأيوب السختياني، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وغيرهم[٢].

منزلته في العلم والرواية :

كان سفيان من كبار علماء زمانه، بل فَاقَهُم في الحفظ والحديث والفقه والزهد ، ومناقبه وفضائله كثيرا جدا، لا يسع المقام لذكرها، حتى نقل عن جماعة من معاصريه قولهم: لم ير سفيان مثل نفسه[٣]. قال الخطيب البغدادي : «كان إمام من أئمه المسلمين، وعَلَما من أعلام الدين ، مُجْمَعا على أمانته بحيث يُستغنى عن تزكيته، مع الإتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد»[٤]، وقال الذهبي: «كان سفيان رأسا في الزهد، والتأله، والخوف، رأسا في الحفظ، رأسا في معرفة الآثار، رأسا في الفقه، لا يخاف في الله لومة لائم، من أئمة الدين»[٥].

وعُدَّ رحمه الله من المصنفين المكثرين في العلماء المتقدمين، ومما ذُكِر من تصانيفه: الجامع الكبير في الفقه ، والاختلاف، الجامع الصغير، كتاب الفرائض، كتاب التفسير[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٣٠.

(٢) ينظر معجم لمشايخه في تهذيب الكمال ١١/ ١٥٤- ١٦١، وسير أعلام النبلاء ٧ / ٢٣٠- ٢٣٤.

(٣) المرجع السابق ٧ / ٢٣٩.

(٤) تهذيب الكمال ١١/ ١٦٨.

(٥) سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٤١.

(٦) ولم يصلنا من تصانيفه سوى تفسيره، ينظر مقدمة محققه ص٣٣ .

مكانته في التفسير وموقف المفسرين منه:

يعتبر سفيان الثوري من أكابر مفسري عصره، قال عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١): «سمعت سفيان يقول: سلوني عن علم القرآن والمناسك فإني عالم بها»[(١)]، وكان يأخذ المصحف فلا يكاد يمر بآية إلا فسرها[(٢)].

وقد احتفى نَقَلَةُ التفسير المأثور بتفسيره رواية ودراية، كابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[(٣)]، والثعلبي[(٤)]، ومن المتأخرين ابن كثير[(٥)] والسيوطي في الدر المنثور[(٦)].

تفسيره ومنهجه فيه[(٧)]**:**

وصل إلينا تفسير سفيان الثوري برواية تلميذه أبي حذيفة موسى بن مسعود النهدي (ت٢٢٠)[(٨)]، ويبدو أنه ليس كل تفسيره، فقد وجدت روايات عنه ليست فيه[(٩)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٤٧.

(٢) مقدمه تحقيق تفسير سفيان الثوري ص١٣.

(٣) من خلال إحصاء د. محمد عبد الله الخضيري في بحثه (التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم) ص ٨٨ بلغت أقوال سفيان الثوري في التفسير عند ابن جرير ١٩ أثرا! من مجموع روايات تفسير أتباع التابعين البالغة ٥٢٣٣ أثرا عند ابن جرير، وعند ابن أبي حاتم ٦٤ أثرا من مجموع روايات تفسير أتباع التابعين البالغة عنده ٣٤٠٨، وفي ذلك نظر، خصوصا أن ما ورد من آثار اجتهادية في تفسيره المطبوع تبلغ ١٦١ أثرا! ولا تخفى صعوبة التمييز بين السفيانين ما لم يقيد اسمهما، فليتنبه !

(٤) أورد تفسيره ضمن مصادره بسنده إليه. ينظر: مقدمة الكشف والبيان عن التفسير القرآن، بتحقيق د. خالد العنزي ص٨٠.

(٥) ينظر مقدمة محقق تفسيره ١/ ٢٣.

(٦) ينظر مثلا : ١/ ١٨، ١٩٥، ٢٥٠، ٣٢٠.

(٧) ممن اعتنى بتفسير سفيان الثوري ودرس منهجه وموضوعاته: د. هاشم عبد ياسين المشهداني في أطروحته للماجستير بجامعة الأزهر عام ١٩٧٩م، والتي طبعت بعنوان (سفيان الثوري وأثره في التفسير) عن دار الكتب للطباعة: بغداد، ط١: ١٤٠١/ ١٩٨١م. ينظر : قاعدة بيانات أوعية المعلومات القرآنية. http://www.quran-c.com/display/DispBib.aspx?BID=7400

(٨) وقد طبع قديما في الهند بتحقيق امتياز على عرشي .عن نسخة وحيدة ناقصة الأول والآخر ، وهي مرتبة السور لكن غير مرتبة الآيات، وعدد رواياتها ٩١١رواية عن الصحابة والتابعين، أكثرها عن مفسري مكة، وفيها روايات مرفوعة نادرة (مثل المذكورة برقم٣١٣، ٣١٥)، وكثير من رواياته منقطعة. ينظر مقدمة محققه ص٣٥،٣٣-٣٦.

(٩) ينظر مثلا :الدر المنثور ١٠/ ١٨، ٨١.

وقد كان من منهجه في التفسير أنه لا يقول في القرآن برأيه بل يتَّبع الصحابة والتابعين[1] ، ولا يفسر من القرآن إلا ما أشكل ، وينتقد من يفسر السورة من أولها إلى آخرها[2]. لذا هو من أقل أعلام الأتباع تفسيرا، ومن اطلع على تفسيره يرى مصداق ذلك، فجلُّه روايات عن الصحابة والتابعين، خصوصاً عن مجاهد بن جبر، أما ما رُوِيَ من تفسيره الاجتهادي فهو أقل بكثير، سواء في كتابه أو كتاب غيره[3] .

موضوعات تفسيره:

معظم تفسير سفيان الثوري في بيان المفردات ، وتعيين المراد من الآيات، أما أسباب النزول فهو مقل في روايتها، وكذلك الإسرائيليات لا تكاد تجدها في تفسيره[4]، وهذا خلاف معاصريه المتقدمين من أعلام مفسري أتباع التابعين، ويظهر أن سبب ذلك هو تأثره بمنهج مفسري الكوفة - حيث نشأ - الذين تهيبوا الخوض في التفسير، وتشددوا في نقل الآثار ورواية الإسرائيليات[5]. كذلك كان له عناية خاصة بتفسير آيات الأحكام ، ولا غرابة في ذلك فهو فقيه صاحب مذهب فقهي مشهور.

وقد تجد لسفيان تفسيرا لبعض الآيات لا تكاد تجده عن متقدميه[6] .

---

(١) وهذا هو منهج المدرسة الكوفية التي نشأ فيها. ينظر: تفسير التابعين ١/ ٤٩٢.

(٢) تقدم ص١٢٠، حاشية ٦ انتقاده لتفسير الكلبي بسبب ذلك.

(٣) أحصيت له من تفسيره المطبوع ١٦١ أثرا اجتهاديا من ٩١١ رواية هي مجموع ما ورد فيه من تفسير السلف.

(٤) وقفت في تفسيره المطبوع على أثرين إسرائيليين وهما برقم ٢٩٠ ،٣٦١، كذلك على أثرين في أسباب النزول برقم ٢٧٦، ٧١٧، وقد نُقِل في غير كتابه المطبوع بين أيدينا شيء من ذلك ، ينظر مثلا: الدر المنثور ١٠/ ١٨، ٨١.

(٥) ينظر: تفسير التابعين ١/ ٤٩٢، ٥٨٤-٥٩١.

(٦) نحو تفسيره لقوله سبحانه: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦] قال: « أعلم سيجعلون أنبياء». ينظر: تفسير سفيان الثوري ص١٤٦، برقم ٤٢١. وينظر أمثلة أخرى برقم ٩٥، ٢١٦.

سابعًا : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت١٨٢)

القرشي العدوي -بالولاء- المدني، نشأ في المدينة النبوية، في أسرة علم وعمل، فجده (أسْلَم) مولى عمر بن الخطاب من كبار التابعين وثقاتهم روى له الجماعة (ت٨٠) [(١)]، وأبوه (زيد بن أسلم) (ت١٣٦) من الطبقة الوسطى من التابعين، ومن ثقات علماء المدينة في الحديث والتفسير، روى له الجماعة أيضا [(٢)]، أما هو فمن أشهر مفسري أتباع التابعين، روى عن أبيه، و محمد بن المنكدر(ت١٣٠)، وأبي حازم سلمة بن دينار (ت بعد ١٤٠) ، وغيرهم، وعنه عبدالله بن وهب (ت١٩٧)، ووكيع (ت١٩٧)، وابن عيينة (ت١٩٨)، وعبد الرزاق (ت٢١١) وأصبغ بن الفرج (ت٢٢٥) ، وغيرهم.

منزلته في الرواية:

عبد الرحمن بن زيد ضعيف الرواية عند أهل الحديث، ضعَّفه أحمد ويحيى بن معين وابن المديني والبخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم[(٣)]، وقال أبو حاتم: «ليس بقوي في الحديث، كان في نفسه صالحا، وفي الحديث واهيا» [(٤)]، وقال ابن خزيمة: «ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه، هو رجل صناعته العبادة والتقشف، ليس من أحلاس الحديث»[(٥)]، وقال ابن حبان: «كان ممن يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف،

---

(١) تنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤ / ٩٨.

(٢) تنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥ / ٣١٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٦ / ١٦١.

(٤) تهذيب الكمال ١٧ / ١١٨، تهذيب التهذيب ٦ / ١٦١.

(٥) المرجع السابق ٦/ ١٦٢. و(أحلاس) جمع حِلْس، وهو كل ما ولي ظهر الدابة تحت الرحل والقتب والسرج، وما يبسط في البيت من حصير ونحوه، ويقال هو حلس بيته لا يبرحه، وهو من أحلاس البلاد لا يفارقها. ينظر: المعجم الوسيط (ح ل س).

فاستحق الترك»[(١)]. وقال ابن عدي: «له أحاديث حسان، وهو ممن احتمله الناس وصدَّقه بعضهم، وهو ممن يكتب حديثه» [(٢)].

مكانته في التفسير وموقف المفسرين منه:

أما في التفسير فله شأن آخر، فهو من أعلام مفسري تبع الأتباع، قال الذهبي : «كان عبدالرحمن صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرا في مجلد[(٣)]، وكتابا في الناسخ والمنسوخ[(٤)]»[(٥)]، وتفسيره يبلغ الذروة، لذا اعتنى به أئمة التفسير، واحتفوا به احتفاء عظيما، لا سيما ابن جرير- كما سيأتي- ثم ابن أبي حاتم[(٦)]، كذلك أبو الشيخ في تفسيره أورد له روايات عديدة، يظهر ذلك فيما عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور[(٧)]، أما عبد بن حميد وابن المنذر فلم أجد لابن زيد رواية عندهما في الجزء

(١) كتاب المجروحين ٢/ ٥٧.

(٢) تهذيب الكمال ١٧/ ١٢١.

(٣) لم يصل إلينا هذا التفسير، وهو مبثوث في كتب المتقدمين من نقلة التفسير المأثور كابن جرير من طريق عبد الله بن وهب (ت١٩٧)، وابن أبي حاتم من طريق أصبغ بن الفرج (ت٢٢٥)، وقد جمع في خمس رسائل جامعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في الأعوام١٤١٠-١٤١٣، ولم يطبع! فيما أعلم. ينظر: دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية، د. زيد بن عبدالمحسن آل حسين ص١٤٦.

(٤) أيضا لم يصلنا هذا الكتاب، ومما يجدر التنبيه إليه أن تلميذه ابن وهب أورد في جامعه -قسم علوم القرآن ٣/ ٦٤- ٨٣ نسخة كبيرة في الناسخ والمنسوخ لزيد بن أسلم أبي عبد الرحمن، يرويها عن القاسم بن عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن زيد بن أسلم، ولم أقف على من ذكر كتابا في النسخ لزيد! فهل ما نسب لعبد الرحمن هي في الأصل هذه النسخة نقلها عن أبيه؟

(٥) سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٤٩.

(٦) في إحصاء د. محمد عبد الله الخضيري بلغ ابن زيد المرتبة الأولى من بين مفسري أتباع التابعين عند ابن جرير، حيث بلغت أقواله ٢٠٧٥ قولا من بين أقوالهم البالغة ٥٢٣٣ رواية عنده، أي ما نسبته ٣٩٪ من أقوالهم، كما جاء في المرتبة الثالثة عند ابن أبي حاتم بعد مقاتل ابن حيان وابن إسحاق بمجموع ٥١٦ قولا من مجموع أقوال الأتباع عنه والبالغة ٣٤٠٨، أي ما نسبته ١٥٪ من أقوالهم ينظر: (التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم)، ص ٨٨.

(٧) ينظر مثلا: ٦/ ٢٠٢، ٦/ ٢٥٨، ٦/ ٤١١، ٨/ ٣٧١، بل إن منها روايات انفرد بها أبو الشيخ عن ابن زيد، مثل: ٦/ ١٧٦، ٦/ ٣٧٥.

المطبوع من تفسير كل منهما، وكذا فيما عزاه السيوطي إليهما في الدر المنثور. وممن اعتنى بتفسيره الثعلبي (١)، ومن المتأخرين ابن كثير (٢)، والسيوطي (٣).

اعتناء ابن جرير بتفسيره:

لابن جرير الطبري اعتناء كبير بتفسير ابن زيد سوى الإكثار من رواياته، وذلك في ترجيحه أحيانا على أقوال التابعين، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠] حيث أورد قول مجاهد وإبراهيم النخعي في معنى اتخاذهم القرآن مهجورا، أنه اتخاذهم ذلك هجرا، أي: قولهم فيه السيئ من القول، وزعمهم أنه سحر، وأنه شعر. ثم أورد القول الثاني بأنه الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له. وذكر أن ممن قال ذلك ابن زيد فأسند إليه قوله في الآية: «لا يريدون أن يسمعوه، وإن دعوا إلى الله قالوا لا. وقرأ: ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُ﴾[الأنعام: ٢٦] قال: ينهون عنه، ويبعدون عنه». ثم قال ابن جرير: «وهذا القول أولى بتأويل ذلك، وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، وذلك هجرهم إياه» (٤).

بل ربما استظهر قوله على أقوال الصحابة والتابعين، مثل ما أورد في سبب تسمية البيت بالعتيق في قوله تعالى: ﴿بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] حيث أورد ثلاثة أقوال: الأول: لأن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه، و عزاه إلى ابن الزبير ومجاهد -من طريق ابن أبي نجيح- وقتادة، الثاني: لأنه لم يملكه أحد من الناس، وعزاه إلى مجاهد -من طريق عبيد-، والثالث: أنه سمي بذلك لقدمه، ولم يذكره إلا لابن زيد مسندا إليه قوله: «العتيق: القديم، لأنه قديم، كما يقال:

---

(١) ينظر من أمثلة ذلك في تفسيره: ١/ ١٣٩، ١/ ٢٠٥، ٢/ ١٤٢، ٢/ ١٩٨، ٥/ ٤٥.

(٢) ينظر مثلا: ١/ ٣٠٨، ٣٢٣، ٤١٢، ٦٤٠، ٢/ ٣٧، ١٣١، ٢١٣.

(٣) ينظر مثلا: ١/ ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤، ٢٦٥، ٣٦٠، ٥٦٢.

(٤) تفسير الطبري ١٧/ ٤٤٣، وينظر مثال آخر ١/ ٧٣١.

السيف العتيق، لأنه أول بيت وضع للناس بناه آدم، وهو أول من بناه، ثم بوَّأ الله موضعه لإبراهيم بعد الغرق، فبناه إبراهيم وإسماعيل». ثم قال ابن جرير: «ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في قوله: ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] وجه صحيح، غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر. غير أن الذي روي عن ابن الزبير أولى بالصحة، إن كان حدثني به، محمد بن سهل البخاري قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: أخبرني الليث، عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، عن الزهري، عن محمد بن عروة، عن عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة ، فلم يظهر عليه قط** »= صحيحا» [(١)].

أهمية تفسيره وموضوعاته:

طَرَق ابن زيد في تفسيره معظم موضوعات التفسير، وبرع في تفسير القرآن بالقرآن وشرح المفردات، فكان أكثر مفسري السلف في تفسير القرآن بالقرآن حيث بلغت نسبته ٥٤٪ من مجموع تفسير السلف بالقرآن عند ابن جرير، وبلغت عند ابن أبي حاتم ٢٥٪ [(٢)]، كما كان أكثر أتباع التابعين في شرح المفردات، فبلغت عند ابن جرير ٠١٦٪ وعند ابن أبي حاتم ٠١٧٪[(٣)].

كما أن له باعًا طويلًا في التفسير اللُّغوي وإيراد الشواهد من لغة العرب وشعرها، وربما كان أكثر من استشهد بالشعر في تفسيره من مفسري السلف في طبقة أتباع التابعين[(٤)]، كذلك كان له مرويات عديدة في أسباب النزول ولا غرابة

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٥٣٠، ويظهر في هذا الأثر ميزات عدة لتفسير ابن زيد، من ذلك أن هذا القول لم ينقله ابن جرير عن أحد إلا عن ابن زيد، كذلك لم يورده السيوطي في الدر المنثور - ينظر تفسير الآية ١٠/ ٤٦٥- ، هذا إضافة لاستظهار الطبري إياه.

(٢) التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم، ص ٩٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٩١.

(٤) ينظر: الشاهد الشعري في تفسير القرآن ص٣٠٠-٣٠٢.

في ذلك! فهو مدني[١]، ومعلوم ما لأهل المدينة من عناية بالآثار والسنن والمغازي والسير. أما الإسرائيليات والقصص فهي نادرة في تفسيره.

ومما يدل على أهمية تفسير ابن زيد وتوسعه أنه ربما لا تجد في تفسير بعض الآيات قولا عن السلف سوى قوله، من ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ [القصص:٥٨]. قال ابن زيد: «البطر الأشر، عصوا وخالفوا أمر الله وبطروا، وقرأ قول الله: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غافر:٧٥-٧٦] ، وقال: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ . البطر: الأشر، أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله، وقال: ذلك البطر في النعمة»[٢].

ففي تفسير هذه الآية لم يذكر ابن جرير وابن أبي حاتم سوى هذا الأثر، بينما لم يورد ابن كثير ولا السيوطي شيئا في تفسيرها .

والخلاصة أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من أعظم مفسري أتباع التابعين؛ لكن لم يعط حقَّه! فلم نجد من معاصريه أو من بعدهم من أثنى على تفسيره [٣]،كما هو الحال مع الكلبي ومقاتل بن سليمان – مع ما فيهما- حتى جاء ابن جرير فنقل تفسيره وأعمله، وأبان عن محاسنه، ورجح بعضه.

---

(١) ينظر: تفسير التابعين ١/ ٥١٨.

(٢) ابن جرير ١٨/ ٢٩٠، ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٩٦.

(٣) وإنما كان نظرهم إلى منزلته في الرواية والحديث، دون نظر إلى تفسيره.

ثامنًا : سفيان بن عيينة (ت ١٩٨)

ابن أبي عمران الهلالي مولاهم، أبو محمد الكوفي ثم المكي، ولد بالكوفة عام ١٠٧، وانتقل به أبوه إلى مكة في صباه، فترعرع في حرمها حتى شبَّ، حيث اعتنى به والده ، ووجَّهه إلى طلب العلم من صغره، فلازم علماء مكة وعلى رأسهم عمرو بن دينار وابن جريج، ثم ارتحل في طلب العلم إلى مختلف البلاد، و«طلب الحديث، وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جمًّا، وأتقن، وجَوَّد وجمع وصنَّف، وعُمِّر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد»(١)، «ومن كبار أصحابه المكثرين عنه: الحميدي ، والشافعي ، وابن المديني، وأحمد»(٢)، توفي رحمه الله عام ١٩٨ بمكة.

منزلته في العلم والرواية:

كان رحمه الله واسع العلم ، حتى قال عنه الشافعي(ت ٢٠٤): «ما رأيت أحداً فيه من آلة العلم ما في سفيان بن عيينة، وما رأيت أكف عن الفتيا منه» (٣) ، وقال نعيم بن حماد (ت ٢٢٨): «ما رأيت أحداً أجمع لمتفرق من سفيان بن عيينة»(٤). وقال الذهبي: «...سفيان حُجَّة مطلقا، وحديثه في جميع دواوين الاسلام»(٥).

برز رحمه الله في علوم الحديث رواية ودراية، وفي التفسير، والرقائق والحكم ، ومع هذا يبدو أنه لم يصنف سوى كتاب التفسير ، ولم يؤلِّف غيره؛ إلا ما قيل إن تلاميذه جمعوا له جامعه(٦) .

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٥٥.
(٢) المرجع السابق ٨ / ٤٥٧.
(٣) المرجع السابق ٨ / ٤٥٨.
(٤) المرجع السابق ٨ / ٤٦٢.
(٥) المرجع السابق ٨ / ٤٦٦.
(٦) مقدمة تفسير سفيان ابن عيينة، جمع ودراسة وتحقيق: أحمد صالح محايري، ص ١٧٤.

تفسيره ومكانته عند المفسرين :

بلغ رحمه الله مبلغاً عظيماً في تفسير كتاب الله- إضافة إلى تضلعه في علم الحديث - حتى أثنى عليه معاصروه، قال ابن وهب (ت ١٩٧): «لا أعلم أحداً أعلم بتفسير القرآن من ابن عيينة» [١]، وقال ابن مهدي (ت ١٩٨): «عند ابن عيينة من معرفته بالقرآن وتفسير الحديث ما لم يكن عند سفيان الثوري» [٢]، وقال نعيم بن حماد (ت ٢٢٨): «كان ابن عيينة من أعلم الناس بالقرآن، وما رأيت أحداً أجمع لمتفرق من ابن عيينة »[٣].

وتقدم أن له مصنفاً في التفسير، ذكره كثير ممن ترجم له ، كما كان مصدراً لكثير من المفسرين كالثعلبي الذي أورد سنده إليه في مقدمه تفسيره[٤]، والسيوطي الذي أورده ضمن مصادره في الدر المنثور[٥]، ولم يصلنا هذا التفسير، لكن قام أحد الباحثين بجمع تفسيره رواية ودراية في رسالة جامعية[٦].

وقد اعتنى المفسرون بإيراد آثار من تفسيره رواية ودراية ، يأتي على رأسهم تلميذه عبد الرزاق الذي روى عنه ما يقرب من ١٠٠ رواية[٧]. كذلك أورد ابن جرير الطبري عنه ٢٠٨ آثار من أقواله في تفسيره، كما أورد ابن ابي حاتم عنه ١٥٨أثرا[٨]،

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٨.
(٢) المرجع السابق، طبقات المفسرين للداودي ١/ ١٩٢.
(٣) المرجع السابق ٨/ ٤٦٢، مقدمة تفسير ابن عيينة ص١٧٦.
(٤) ينظر: مقدمة الكشف والبيان عن التفسير القرآن، بتحقيق د. خالد العنزي، ص٨٢.
(٥) ينظر: مقدمة تفسير الدر المنثور للسيوطي بين المخطوط والمطبوع، ص٢٥٣.
(٦) هو أحمد صلاح محايري ، وقد طبعت عام ١٤٠٣هـ بعنوان (تفسير سفيان بن عيينة).
(٧) مقدمة تفسير سفيان بن عيينة ص١٩٤.
(٨) ذكره د. محمد عبد الله الخضيري في (التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم)، ص ٨٨. ولم يبين منهجه في التفريق بين السفيانين عند إطلاق اسم (سفيان)، ولا يخفى أن كثيرا من الروايات التفسيرية عن سفيان مطلقة، ومما يشكك في هذه النتيجة أنه أورد ما روي عن الثوري عند ابن جرير ١٩رواية تفسيرية فقط! وفي المقابل نجد أن أحمد محايري في جمعه لتفسير ابن عيينة أثبت له ٢٢٢ رواية، منها ١٠٢ من قوله، وكان منهج جمعه هو ما تحقق أنه من تفسير ابن عيينة دون ما لم يتضح، علما أن ذلك من كل ما تيسر له من المراجع ومنها تفسير ابن جرير، ينظر: مقدمة كتابه ص١٥.

كذلك أخرج له ابن المنذر رواية ودراية في تفسيره[١] ، والبغوي[٢]، وابن كثير[٣] ، وغيرهم.

منهجه في التفسير وموضوعاته:

يبدو أن منهج ابن عيينة لم يخرج عن منهج معاصريه من كونه تفسيراً مسنداً إلى الصحابة والتابعين إضافة إلى المرفوع عن النبي ﷺ، مع بعض اجتهاداته التي نسبت إليه، كذلك لم يكن متناولاً لتفسير القرآن آية آية[٤] .

أما عن موضوعات التفسير التي اعتنى بها فقد طرق معظمها، وتميَّز رحمه الله بقوة الاستنباط، واستخراج المعاني الدقيقة للآيات، وإيراد لطائف التفسير ، حتى فاق جميع أقرانه في هذا النوع من التفسير[٥] .

ويحسن أن نذكر بعض الأمثلة الدالة على قوة استنباطه ونظرته الشمولية في القرآن؛ ليتبين لنا تميز هذا العلَم في هذا الفن، فمن ذلك:

- قوله : «لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله قد استجاب دعاء شر الخلق، وهو إبليس قال: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤-١٥] » [٦] .

- في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢]. قال: «كل صاحب بدعة ذليل» [٧] .

(١) ينظر على سبيل المثال في القطعة المطبوعة من تفسيره: ١/ ٧٧، ٧٨.
(٢) ينظر على سبيل المثال: ١/ ١٢٦، ٢٠٨، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢/ ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٦٧.
(٣) ينظر على سبيل المثال: ١/ ١٨٥، ١٩٨، ٤/ ٢١٩، ٣٣٧.
(٤) مقدمة تفسير سفيان بن عيينة ص١٩١-١٩٣.
(٥) توَصَّل د. محمد عبد الله الخضيري إلى أن ابن عيينة من أكثر الأتباع إيراداً للّطائف التفسيرية في تفسيري ابن جرير وابن أبي حاتم. ينظر: التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم، ص ٩١.
(٦) ينظر: تفسير سفيان بن عيينة ص٢٤٧.
(٧) أخرجه ابن جرير ، ١٠/ ٤٦٤.

- وسئل هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ألم تسمع قوله: ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف:٨٨] »[1].

- وقال : «أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم، قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا، فخصه بالسلام عليه، فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥] »[2].

(١) أخرجه ابن جرير ، ١٣/ ٣٢٥.

(٢) أخرجه ابن جرير ، ١٥/ ٤٨٢.

تاسعًا : يحيى بن سلاّم (ت٢٠٠)

ابن أبي ثعلبة، التيمي ، أبو زكريا البصري، ثم المغربي القيرواني، ولد بالكوفة عام ١٢٤، وانتقل إلى البصرة فتلقى العلم عن علمائها من تلاميذ الحسن البصري (ت ١١٠) وقتادة (ت ١١٧)، خصوصا: سعيد بن أبي عروبة (ت ١٥٦)، وشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠)، وحماد بن سلمة (ت ١٦٧)، والمبارك بن فضالة (ت ١٦٦) ، ورحل إلى الكوفة فأخذ عن سفيان والثوري (ت ١٦١)، وإلى المدينة فأخذ عن مالك (ت ١٧٩)، وإلى مصر فأخذ عن ابن لهيعة (ت ١٧٤)، والليث بن سعد (ت ١٧٥)، كما أخذ القراءات عن أصحاب الحسن البصري ، وكان له اختيار في القراءة عن طريق الآثار[(١)]، ويقال إنه أدرك من التابعين نحواً من عشرين رجلاً وسمع منهم وروى عنهم[(٢)].

وانتقل في آخر حياته إلى إفريقية (القيروان) ، ومكث بها حوالي عشرين سنة، بَثَّ فيها علمه، وألقى تفسيره ، ونال مكانة مرموقة بين أهلها وحكامها، وفي أواخر حياته خرج إلى الحج، وعند عودته توفي بمصر عام ٢٠٠[(٣)]، وعليه فهو في طبقة صغار أتباع التابعين.

منزلته في الرواية:

ضعّفه الدارقطني وكثير من المحدثين[(٤)]، لكن لا يصل الأمر إلى رد حديثه، لذا قال ابن عدي: «يكتب حديثه مع ضعفه»، وقال أبو زرعة: «لا بأس به، ربما وهم»[(٥)].

---

(١) ينظر: القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، ص١٥٧-١٧٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٩٧، غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٣٧٣، مقدمة تحقيق تفسير يحيى بن سلام ١/ ١١.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٣٧٣، مقدمة تحقيق تفسير يحيى بن سلام ١/ ١١، ١٢.

(٤) ينظر ميزان الاعتدال ٤/ ٣٨١، مقدمة تحقيق تفسير ابن أبي زمنين ١/ ٨٣-٨٥.

(٥) ينظر تحرير ذلك في المرجع السابق ١/ ٨٣-٩٨.

مكانته في العلم:

أثنى عليه أهل العلم، فقال أبو العرب القيرواني (ت٣٣٣): «كان مفسرا، وكان له قدر، ومصنفات كثيرة في فنون العلم، وكان من الحفاظ، ومن خيار خلق الله »، وقال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤): «كان ثقة ثبتا، عالما بالكتاب والسنة، وله معرفة باللغة والعربية »[١].

وقد جمع وصنَّف تصانيف عدة ، ففي علوم القرآن له كتاب (التصاريف : تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه)[٢]، و(تفسير القرآن). وفي الحديث له كتاب الجامع، كذلك له اختيارات في الفقه[٣].

تفسيره وموقف المفسرين منه:

أَلَّف يحيى بن سلاّم بإفريقية تفسيرا كبيرا أثنى عليه أهل العلم، فقال أبو عمرو الداني: «سكن أفريقية دهراً، وسمع الناس بها كتابه في تفسير القرآن، وليس لأحد من المتقدمين مثله »[٤]. وقال الحافظ ابن حجر : «تفسير يحيى بن سلاّم المغربي وهو كبير في نحو ستة أسفار، أكثر فيه النقل عن التابعين، وغيرهم »[٥]، وقد اعتنى به الأندلسيون والمغاربة اعتناء كبيرا، نقلا ورواية، وإسنادا وحفظا، بل واختصارا أيضا، حيث ذُكرت له عندهم مختصرات عِدَّة، منها: مختصر هود بن مُحكَّم الهُوَّارِي

---

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٩٧، غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٣٧٣، مقدمة تحقيق تفسير يحيى بن سلام ١/ ١٣.

(٢) طبع بتحقيق د. هند شلبي، الشركة التونسية ، ١٩٧٩م، كما طبع مؤخرا بتحقيق د. أنور محمود المرسي خطاب، دار الصحابة: طنطا، ط١٢٤٧:١/ ٢٠٠٦م، اعتمادا على طبعة د. هند شلبي ودون اطلاع على نسخه الخطية! وقد رجح محققه من خلال ذلك أن الكتاب ليس لابن سلام! وإنما لحفيده يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام! ينظر ص١٧،١٦.

(٣) ينظر : مقدمة تحقيق تفسير يحيى بن سلام ١/ ١٣.

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٣٧٣.

(٥) العجاب في بيان الأسباب ١ / ٢١٩.

(من علماء القرن الثالث)[١]، ومختصر ابن أبي زَمَنِين (ت ٣٩٩) [٢]، ومختصر أبي المُطرِّف الأنصاري القرطبي (ت ٤١٣)[٣].

أما عند المشارقة فلم أقف على أحد من أئمة التفسير المسند يروي عنه! سواء من تفسيره الاجتهادي أو النقلي[٤]، ولعل سبب ذلك عدم وقوفهم على تفسيره؛ لأنه يبعد تواطؤهم على عدم الإفادة منه مع وقوفهم عليه، حتى الثعلبي- الذي انفرد بمصادر عديدة في التفسير وكان مرجعا كبيرا لمن بعده - لم يورده ضمن مصادر تفسيره، مما يدل على عدم وقوفه عليه أيضا، ويظهر أن سبب عدم ورود تفسير يحيى بن سلاّم للمشرق الإسلامي تأليفه له بعد انتقاله إلى القيروان بالمغرب، لكن نقل عنه بعض مفسري المشارقة المتأخرين، وأقدم من أفاد من تفسيره واعتنى به منهم-فيما وقفت عليه- الماوردي (ت ٤٥٠) في تفسيره (النكت والعيون)[٥]، وأبو المظفر السمعاني (ت: ٤٨٩)[٦]، وابن الجوزي (ت ٥٩٧)[٧].

---

(١) طبع بتحقيق بلحاج سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م، ٤ أجزاء. ومما يحسن التنبيه عليه أن هود بن محكم كان إباضي المذهب، وقد بثَّ عقيدته في مختصره محرَّفا ما أورده ابن سلاّم! ينظر: مقدمة تحقيق تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري١/ ٣٣-٣٧، ومقالات في علوم القرآن وأصول التفسير ص ٣٨٨. كذلك لم يرد في متن كتابه ما يشير إلى أنه مختصر لتفسير بن سلاّم ولم يُعرف بذلك! وإنما توصل محققه إلى ذلك بالمقارنة، ينظر: ١/ ٢١-٢٥.

(٢) طبع بتحقيق عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م، ٥ أجزاء.

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق تفسير يحيى بن سلام ١/ ١٩، مقدمة تحقيق تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري١/ ٣٠.

(٤) وردت رواية يتيمة من روايات يحيى بن سلام عند ابن جرير ٣/ ٤٢٧، وهي رواية مرفوعة في مسألة فقهية لا علاقة لها بالتفسير المباشر وسيأتي مزيد بيان في المسألة.

(٥) وجدت في تفسيره ١٩٧ أثراً تفسيرياً ليحيى بن سلام ، أغلبها من تفسيره الاجتهادي، وقد فاق في نقله تفسير ابن سلاّم جميع من وصلتنا تفاسيرهم من المشارقة، بل والمغاربة أيضا! والعجيب أن جميع تلك الآثار في النصف الثاني من القرآن (بالتحديد من سورة الأنبياء إلى آخره)، مما يدل على أن له اعتناء خاص بتفسير يحيى بن سلام، وأنه وقف على نصف تفسيره فقط وأفاد منه هذه الروايات العديدة، فكيف لو وقف عليه كله!؟

(٦) وجدت في تفسيره (٥) آثار تفسيرية ليحيى بن سلام (من سورة الحج إلى غافر).

(٧) وجدت في تفسيره (زاد المسير) ١٥ أثراً تفسيرياً ليحيى بن سلام (من سورة القصص إلى آخره).

أما المغاربة والأندلسيون فمع ما اشتهر من اعتنائهم بتفسيره، وتناقل أسانيده، واختصاره وحفظه، إلا أن ما نقل عنه في تفاسيرهم المشهورة التي وصلتنا لا يرقى إلى ذلك الاعتناء المشهور! فهذا ابن عطية (ت ٥٤٢) -أشهر مفسريهم- لم ينقل عنه إلا نزرا يسيرا[(١)]، وأقلّ منه مكي ابن أبي طالب (ت ٤٣٧) في تفسيره (الهداية إلى بلوغ النهاية)[(٢)] مع تقدمه! وكذا ابن العربي (ت ٥٤٣) في (أحكام القرآن)[(٣)]، وأكثر من روى عنه من المغاربة والأندلسيين: القرطبي (ت ٦٧١) في (الجامع لأحكام القرآن) معظمها من تفسير يحيى بن سلاّم النقلي[(٤)]، ثم أبو حيان (ت ٧٤٥) في (البحر المحيط)[(٥)]، ومنهم من لا يكاد يورد له شيئا كابن جزي الكلبي (ت ٧٤١).

كل ذلك يدل على أن الاعتناء بتفسير يحيى بن سلاّم عند الأندلسيين والمغاربة إنما كان عند متقدميهم في القرنين الثالث والرابع، ثم خبا بمرور الزمن، ابتداء من أواخر القرن الخامس الهجري فيما يبدو- إلا من بعض النقولات عن المتقدمين- وفُقِدَت نسخه الكاملة[(٦)] من معظم البلاد الإسلامية، لذا لم نجد ابن جزي الكلبي

---

(١) بلغت ٨ آثار تفسيرية (من سورة الأعراف إلى الكهف).

(٢) لم يورد إلا روايتين يتيمتين ١/ ٢٨٢، ١٢/ ٧٣٢٠. مع أنه أشار في مقدمته ١/ ٧٤ أنه تخير منه، مما يدل أنه لم يكن مصدرا أساسيا له، كما ذكر محرر مقدمة التحقيق ١/ ٣٠ ؛ إلا أن يفيد عنه في مواضع أخرى دون ذكره والعزو إليه!

(٣) بلغت ٤ روايات (في سور النور والقصص والأحزاب).

(٤) بلغت ٦٧ أثراً تفسيرياً في جميع القرآن (من سورة النساء إلى آخره). ومن هنا يتبين لنا أن أكثر من أفاد من تفسير ابن سلام من التفاسير التي بين أيدينا على الإطلاق هو الماوردي، ولم يتنبه لذلك د. زكريا هاشم الخولي في رسالته (منهج يحيى بن سلام في التفسير)، حيث عقد مقارنة بين تفسيري ابن سلام والقرطبي ص٥٦٨ باعتبار أن القرطبي أكثر من نقل عن ابن سلام، ويؤكد ذلك أن تفسير الماوردي لم يرد ضمن مراجعه.

(٥) بلغت بضعا وعشرين أثرا تفسيريا، ، بعضها حكاية عن اختيارات يحيى بن سلاّم في القراءات (في مواضع متقطعة ابتداء بسورة النساء إلى الزلزلة)، ومما يلحظ عن القرطبي وابن حيان أنهما أندلسيان قضيا أواخر حياتهما في المشرق!

(٦) يلاحظ في الإحصاءات السابقة لنقولات المفسرين عن ابن سلاّم أن إفادتهم من قطع متفرقة لتفسيره، مما يدل أن نسخه الكاملة فقدت منذ ذلك العهد، ويؤكده ما وجد منه اليوم، حيث وَقَفَت محققة تفسيره على ٣٨ قطعة متفرقة، مشتتة السور والآيات، يعود نسخها إلى القرنين الرابع والخامس! ينظر ١/ ٢١-٣١.

القرطبي (ت٧٤١) ينقل عنه، ولا ابن كثير يذكره في تفسيره (ت٧٧٤)، مع تمام اعتنائه بتفسير السلف، وكذا السيوطي (ت ٩١١) في (الدر المنثور) لم ينقل عنه شيئا من تفسيره النقلي أو الاجتهادي، مع أنه مندرج ضمن شرطه في كلا النوعين[١]، وقد يكون في هذا دلالة على عدم وقوفهما عليه، وانعدام نسخه في الشام ومصر آنذاك![٢] وغيرهما من البلاد الإسلامية.

منهج يحيى بن سلاّم في تفسيره ومميزاته[٣]:

مع فقدان نسخ تفسير يحي بن سلاّم في مختلف البلاد، إلا أنه شاء الله أن تبقى أجزاء متفرقة منه في مهده الأول (تونس)، ظلت حبيسة في مكتباتها، نظرا لعسر قراءتها، وتفرق أجزائها، ونقص محتوياتها، وتهالك رقِّها[٤]، إلى أن هيَّأ الله له الدكتورة الفاضلة هند شلبي التي قامت – مشكورة- بجمع متفرقه، وتحرير نصِّه،

(١) لم يرد ذكر ليحيى بن سلاّم في الدر المنثور إلا في آخر الكتاب نقلا عن الحافظ ابن حجر في معرض ذكره تفاسير ضعفاء التابعين فمن بعدهم ١٥/ ٨٢٤، هذا مع تنوع مصادر السيوطي، وحرصه الشديد على الرجوع إلى مختلف الكتب المسندة في التفسير وغيره من كتب الحديث والفقه والتاريخ والتراجم والسير والأدب؛ إلى حدِّ أنه أفاد ثلاث روايات في تفسيره من كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني! ينظر: الدر المنثور ١/ ٥٣٦، ١١/ ٧٠٥، ١٤/ ٨.

(٢) قد يَرِدُ على هذا أن الحافظ ابن حجر (ت٨٥٤) نقل عنه في ١٣ موضعا في كتابه (العجاب في بيان الأسباب) المنتهي بسورة النساء-مصرحا في بعضها أنها من تفسيره-، كذلك في ١١ موضعا في الفتح معظمها في تعيين المبهمات في أسباب النزول، صرَّح في بعضها بوقوفه على تفسيره ، كقوله: «ثم وقفت في تفسير يحيى بن سلام البصري نزيل مصر ثم إفريقية وهو في طبقة يزيد بن هارون... » فتح الباري ١١/ ٤٣٩! لكن يجاب عن ذلك أن وقوفه إنما كان على قطع منه ،وليس عليه كاملا كما تقدم، والله أعلم.

(٣) قام بدراسة منهج ابن سلام د. زكريا هاشم الخولي في رسالته (منهج يحيى بن سلام في التفسير)، ثم صدرت عام ١٤٣٣هـ، وذلك بعد أن حررت هذه الدراسة، وقد وقفت عليها أثناء التدقيق والمراجعة.

(٤) قال الفاضل بن عاشور: «وتوجد من هذا التفسير ببلادنا التونسية نسخة عظيمة القدر موزعة الأجزاء ، نسخت منذ ألف عام تقريباً ، منها: مجلد يشتمل على سبعة أجزاء بالمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة الأعظم، وآخر يشتمل على عشرة أجزاء بمكتبة جامع القيروان، ومن مجموعها يتكون نحو الثلثين من جملة الكتاب. ويوجد جزء آخر لعله يتمم بعض نقص النسخة من المقتنيات الخاصة لبعض العلماء الأفاضل. ولعل فذاذة هذه النسخة التونسية هو الذي يعتذر به للذين أهملوا شأن ابن سلام في مراحل التفسير، ...». التفسير ورجاله، ص ٢٧.

وتحقيق أجزائه، وأصدرت ما تم من سوره في مجلدين، من سورة النحل إلى سورة الصافات، فأخرجت لنا هذا السفر النفيس إلى النور، بعد فقدانه مئات السنين(١).

والناظر في هذا التفسير يجد أنه تفسير شامل تناول جميع سور القرآن وآياته، بل ومفرداته، والمذكور فيه من تفسير على جانبين:

الأول: التفسير النقلي الروائي: له روايات عن طبقات السلف الثلاث: الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، ويتميز تفسيره النقلي بميزات، منها:

- الإكثار عن التابعين خصوصا الحسن وقتادة؛ وذلك لأنه أخذ عن تلاميذهما -كما تقدم-، ثم مجاهدا والسدي، كما أورد روايات عن كبار أتباع التابعين، لا سيّما شيخه سفيان الثوري، والكلبي الذي أكثر عنه فيما يتعلق بالقصص والإسرائيليات، مما يمكن اعتباره من المصادر المتقدمة النادرة التي وصلتنا وحفظت لنا تفسير الكلبي.

- انفراده بإيراد مرويات عن مفسري السلف ربما لا تجدها في أمهات كتب التفسير المأثور(٢).

- روايته بعض هذه الآثار من طرق يَقِلُّ ورودها عند نقلة التفسير الآخرين(٣).

- روايته هذه الآثار مسندة- وقد يوردها منقطعة أحيانا- ويتميّز بأنه من رواة التفسير المتقدمين ، ذوي الأسانيد العالية.

---

(١) صدر عام ١٤٢٥/ ٢٠٠٤م، عن دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٩١٣ صفحة.

(٢) مثل تفسير قتادة لقوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ : يرث ماله. تفسير يحيى بن سلام٢/ ٢١٤. لم أجده عن قتادة عند ابن جرير، ولم يذكره ابن كثير في تفسيره، كما لم يورده السيوطي في الدر المنثور.

(٣) كطريق ابن مجاهد -على ضعفه- عن أبيه، ينظر مثلا: ١/ ٥١،٥٣، ٥٩، ٦٢، ٦٥، ٦٧، ٧٢، ٨٩. وطريق مبارك بن فضالة عن الحسن، ينظر مثلا: ١/ ١٢١، ٣٦٧، ٤٥٦، ٤٨٣، ٤٨٨، وطريق الحسن بن دينار - على ضعفه- عن الحسن، ينظر مثلا: ١/ ٥٢، ٨٦، ٩٦، ١٠٠، ١٤٨ وهي كثيرة جدا، أيضا من طريق الحسن بن دينار عن قتادة، ينظر مثلا: ١/ ٢٥٣، ٤٦٣.

- تعديد الروايات التفسيرية المختلفة في الآية الواحدة مع الترجيح بينها أحيانا، بعبارات تدل على ذلك، كقوله: «وبه يأخذ يحيى»، «وهو أعجب إليّ»[(١)]، ولكنه قليل جدا، ويخلو غالبا من التعليل[(٢)].

الثاني: التفسير النظري الاجتهادي: وقد تميز بميزات عديدة، وأدخل عناصر جديدة في التفسير قد تكون مما لم يُسْبَق إليها، من ذلك:

- تفسير الضمائر والجمل المضمرة مع وضوحها، وهذا خلاف منهج المتقدمين[(٣)].

- الإكثار من الاستشهاد بالآيات عند التفسير وهو ما يعرف بتفسير القرآن بالقرآن، ومنه ذكر نظائر الآيات ووجوهها[(٤)].

- الاعتناء بذكر القراءات مع توجيهها، ولا عجب في ذلك فهو مقرئ فذّ، أخذ القراءات عن أصحاب الحسن، وكان له اختيار فيها[(٥)].

- الاستشهاد بالسنة لتأييد معنىً نقله في تفسير آية أو اجتهد فيه برأيه، أو تتميمه[(٦)]، حتى ضمّن تفسيره ثروة حديثية كبيرة، وتميز بأحاديث ربما انفرد

---

(١) ينظر أمثلة لذلك في تفسيره: ١/ ٢٩٥، ٤٤٧، ٢/ ٧١٤، ٧٢٧.

(٢) وهذا يضعِّف الاستدلال به على أنه مبتكر هذا المنهج قبل ابن جرير، كما سيأتي.

(٣) وقد سبقه في ذلك مقاتل بن سليمان كما تقدم.

(٤) ينظر مثلا: ١/ ٢٦٣، ٢٩٦، ٣٩٧، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٩٢. وقد تقدم أن له كتابا مستقلا في الوجوه والنظائر صدر بعنوان (التصاريف)، وربما يكون مستخلصا من تفسيره. ينظر: مقدمة تحقيق تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري١/ ٣٠.

(٥) ينظر: القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، ص١٥٧-١٧٤. ومن أمثلة اعتنائه بذكر القراءات وتوجيهها في تفسيره١/ ٢٠٥، ٤٧١، ٤٨٨، وينظر أيضا مختصره تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٠١.

(٦) من أمثلة ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩] قال: «يحافظون على الصلوات الخمس، قال قتادة: على وضوئها، ومواقيتها، وركوعها، وسجودها، سعيد وهمام، عن قتادة، عن حنظلة الكاتب أن رسول الله ﷺ قال: «**من حافظ على الصلوات الخمس، على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن، وعلم أنه حق لله عليه دخل الجنة، أو قال: وجبت له الجنة**». تفسيره ١/ ٣٩٣. وينظر أمثلة أخرى: ١/ ٧٣، ٩٨، ٩٧، ٨٥، ٧٤، ١٠١-١١٢، ١٢٥، ١٣٣، ١٢٩، ١٤٧، ١٣٧.

برواياتها[١]، ذكر كثيرا منها بسنده، وقد يكون من أوائل من اعتنى بذلك ممن دوّن تفسيرا نظريا، حيث كانت عنايته بذلك عناية فائقة مع الإكثار والاستطراد أحيانا بذكر متابعات وشواهد لما يرويه[٢]، مما دفع ابن أبي زمنين (ت٣٩٩) إلى اختصار تفسيره، حيث قال في مقدمته: «...فإني قرأت كتاب يحيى بن سلاّم في تفسير القرآن فوجدت تكرارا كثيرا وأحاديث ذكرها يقوم التفسير دونها ... فاختصرت مكرره وبعض أحاديثه»[٣]، ولا غرابة في ذلك فقد أخذ ابن سلاّم تفسيره عن أصحاب الحسن وقتادة البصريَّيْن، اللَّذَيْن كان لهما الريادة في هذا المجال[٤].

- التوسع النسبي في اللغة، وإدخاله عناصر جديدة من علومها، كالتعليل اللغوي، وتوجيه القراءات[٥].

- كثرة الاجتهاد التفسيري، وإيراد قوله مصدَّرا بنحو: قال يحيي[٦]. وله اجتهادات في التفسير، وأقوال نفيسة، ربما لم يُسبَق إليها، يتناقلها المفسرون من بعده، خصوصا الماوردي[٧].

---

(١) ينظر مثال ذلك: تفسير ابن أبي زمنين ١/ ١٢٢.

(٢) من أمثلة ذلك ما أورده عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] قال: « إن العباد قد يخلقون، يشبهون بخلق الله، ولا يستطيعون أن ينفخوا فيه الروح. الربيع بن صبيح، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : «المصورون يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم».
- أبو أمية بن يعلى الثقفي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:«قال الله: من أظلم ممن يخلق كخلقي، فليخلقوا ذبابا أو ذرة، أو بعوضة ».
- حماد، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله». تفسير يحيى بن سلاّم ١/ ٣٩٥.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين ١/ ١١١.

(٤) ينظر: تفسير التابعين ١/ ٢١٢،٢٦٣، ٢/ ٩٣٤، ٦٣٥ .

(٥) ينظر أمثلة لذلك في تفسيره: ١/ ٤٧١، ٤٨٨.

(٦) ينظر مثلا: ١/ ٢٩٨، ٣٠٣،٣١٦-٣١٨.

(٧) مثل رأيه في تفسير قوله تعالى:﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ [النور:٦٣] أنه عائد إلى أمر الله تعالى ،=

وغيرها من الميزات التي لم تكن معهودة عند المتقدمين، مما جعل بعض المعاصرين يدّعي أنه له السبق والأقدمية بهذا المنهج، وأنه يمثل نقلة نوعية للتفسير، ومرحلة ممهدة لظهور منهج الطبري، وأن الطبري استفاد منه هذا المنهج! وسيأتي تحرير ذلك في الفصل الثاني بإذن الله.

=ينظر: تفسيره: ١/ ٤٦٧، ولم يذكر سوى هذا القول، وقد نقله الماوردي والقرطبي عنه دون غيره. ومثله أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ أنها الوحش تنزع من الكلأ وتنفر. ينظر: تفسير الماوردي ٦/ ١٩٢، وهو قول جديد لم يذكر عمَّن قبله فيما وقفت عليه. وينظر أمثلة أخرى أيضا في تفسيره ١/ ٢٨١، ٢٩٥، ٣٣٥، ٣٩٠، ٣٩٩، ٤٦٣، ٤٨٦، ٤٩٠.

الفصل الثاني

معالم تفسير أتباع التابعين

من خلال استعراض أعلام مفسري أتباع التابعين ومناهج تفسيرهم يمكننا أن نقف على معالم تفسير هذا الجيل، ونستخرج طرقه ومصادره ومظانه، ونستخلص أهميته وخصائصه وقيمته العلمية ومدى اعتباره وحجيته وأثره فيمن بعده وما أخذ عليه، من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول

طرق تفسير أتباع التابعين ومصادره ومظانه

المطلب الأول: طرق التفسير في عهد تابعي التابعين

تميز عصر تابعي التابعين بوجود طريقين رئيسين في تفسير القرآن، طريق أصيل، وآخر محدث نشأ في ذلك العصر، وفيما يلي بيان كل منهما:

الطريق الأول: طريق أهل الأثر

وهو مبني على اتباع المأثور في التفسير عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، مع وجود شيء من الاجتهاد الذي لا يخرج عن مقتضى ذلك الأصل، و هذا هو الطريق الأصيل الذي كان عليه الصحابة والتابعون، وقد انتهج أتباع التابعين من خلاله منهجين في تفسير القرآن :

المنهج الأول: الاقتصار على الرواية والنقل

وذلك برواية تفسير من قبلهم من السلف وتدوينه ، وقد سلك هذه الطريق جمع كبير من أعلام محدثيهم، وعلى يدهم ظهرت المؤلفات الجامعة لتفسير الصحابة والتابعين والتي كانت اللبنة الأولى والمصادر الرئيسة لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وغيرهم من نقلة التفسير المأثور[1]، ومن أشهرهم:

---

(١) مما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام ما ذكره د. محمد حسين الذهبي (ت١٣٩٧) في كتابه (التفسير والمفسرون) ١/ ١٤١ أن التفسير في هذا العهد كان بابا من أبواب الحديث، ولم يجمع على استقلال=

١- زائدة بن قدامة (ت ١٦١)[١]

٢- مالك بن أنس (ت ١٧٩)[٢]

٣- وكيع بن الجراح (ت ١٩٧)[٣]

٤- عبد الله بن وهب المصري (ت ١٩٧)[٤]

=وانفراد، وهو وهم منه رحمه الله لأنه لم يطَّلع على مطبوع منها حينئذ، وقد صرح بذلك في خاتمة كلامه، لكن العجيب أن يأتي من بعده ممن كتب في مناهج المفسرين وتاريخ التفسير ويتناقلون قوله في خطوات تدرج التفسير دون تحقيق للمسألة مع صدور بعض تفاسير السلف مطبوعة كتفسير سفيان وعبدالرزاق! وينظر في تفصيل ذلك: مقال (التنكيت على مراحل التفسير عند الذهبي في التفسير والمفسرون). للدكتور مساعد الطيار في موقع أهل التفسير. http://www.tafsir.net/vb/tafsir4608/

(١) أبو الصلت الكوفي ثقة ثبت، روى له الجماعة، قال الذهبي: «وقد كان صنف حديثه، وألف في القراءات، وفي التفسير والزهد» ينظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٥.

(٢) أبو عبدالله الأصْبحي، المدني، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، وأما تفسيره فهو تفسير مسند، قال الداودي: «وهو أول من صنَّف (تفسير القرآن) بالإسناد على طريقة (الموطأ)، تبعه الأئمة، فقلَّ حافظ إلا وله تفسير مسند» طبقات المفسرين (٢/ ٢٩٩). وهو أحد موارد السيوطي في الدر المنثور، ينظر: (مقدمة تفسير الدر المنثور للسيوطي بين المخطوط والمطبوع) للدكتور حازم سعيد حيدر ص٢٥٢، ففيه معلومات نفيسة عن هذا التفسير.

(٣) أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، أحد الاعلام، الحافظ الثبت، محدِّث العراق، روى له الجماعة. انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٤١. وتفسيره كتاب رواية كما يفهم من خلال ما أورد عنه إبراهيم الحربي حيث قال: «لما قرأ وكيع التفسير، قال: خذوه، فليس فيه عن الكلبي، ولا عن ورقاء شئ». ينظر: سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٢١ ، وقد اعتمده الثعلبي ضمن مصادره في التفسير، ورواه بإسناده إلى وكيع. ينظر: مقدمة تفسير الثعلبي ص٤٣ ، كذلك أورده السيوطي ضمن مصادره في الدر المنثور ينظر: (مقدمة تفسير الدر المنثور للسيوطي بين المخطوط والمطبوع)، ص٢٥٢.

(٤) له كتاب الجامع ، ويبدو أن من ضمنه (تفسير القرآن) الذي حققه المستشرق الألماني ميكلوش موراني، وصدر في ٣ مجلدات لطيفة عن دار الغرب الإسلامي، ط١: ٢٠٠٣م، وفيه روايات تفسيرية متفرقة، غير مرتبة على سور القرآن، كثير منها عن مفسري المدينة كمحمد بن كعب القرظي (ت١١٧)، وزيد بن أسلم (ت١٣٦). وقد اعتمده الثعلبي ضمن مصادره في تفسيره، ورواه بإسناده إليه. ينظر: مقدمة تفسير الثعلبي، تحقيق: د. خالد العنزي، ص٩٤.

٥- روح بن عبادة البصري (ت ٢٠٥)[(١)]
٦- يزيد بن هارون الواسطي (ت ٢٠٦) [(٢)]
٧- عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١) [(٣)]
٨- محمد بن يوسف الفريابي (ت ٢١٢)[(٤)].

وقد كان منهج التلقي والرواية عندهم واضحا، لأنهم كبار محدثي ذلك العصر، والمحدثون هم أصحاب الشأن في ذلك، فكانت الرواية عندهم حسب منهجهم المعروف السائد، منهج الإسناد وعزو الأقوال لأهلها، إلا أنه ظهر في مفسريهم من أهمل هذا الطريق أو تنكب عنه، كمقاتل بن سليمان الذي بنى تفسيره على من تقدمه دون نسبة لهم إلا ما ندر - كما تقدم-، ومن هنا يمكن القول أن حذف الإسناد وترك عزو الأقوال لقائليها بدأ في هذا العصر، ومن ثم شاب الدخيلُ

(١) أبو محمد القيسي، المفسر الحافظ الثقة، ينظر: تهذيب الكمال ٩/ ٢٣٨، طبقات المفسرين للداودي ١/ ١٧٣. وقد اعتمد تفسيره الثعلبي ضمن مصادره، ورواه بإسناده إليه. ينظر: مقدمة تفسير الثعلبي ص٨٨.

(٢) السلمى مولاهم، أبو خالد الواسطى، أحد أعلام الحفاظ، من صغار أتباع التابعين، ولد عام ١١٧، وقيل ١١٨، روى له الجماعة، ينظر: تهذيب التهذيب. ومما يجدر التنبيه عليه ما ورد عند د. محمد حسين الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) ١/ ١١٤ أن وفاته كانت عام ١١٧، وهو وهم منه رحمه الله، إذ لا يخالف أحد أن يزيد بن هارون من طبقة صغار أتباع التابعين، وأن هذا التاريخ ضمن عصر التابعين، وكل من ترجم له ذكر أن وفاته عام ٢٠٦ أو حولها، بينما التاريخ المذكور هو عام ولادته، لكن العجيب أن يتبعه في هذا الوهم كثير ممن كتب في مناهج المفسرين وتاريخ التفسير معتمدا على كتابه دون تمحيص أو تثبت!

(٣) ابن همَّام، أبو بكر، الحميري، الصنعاني المحدِّث المفسِّر، روى له الجماعة. ينظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٤، وتفسيره مطبوع بتحقيق الدكتور مصطفى مسلم من نشر مكتبة الرشد بالرياض في٣ أجزاء من ٤ مجلدات لطيفة، وهو كتاب رواية معظمه من تفسير قتادة من طريق معمر بن راشد شيخ عبد الرزاق، وقد أورده السيوطي ضمن مصادره في الدر المنثور ينظر: (مقدمة تفسير الدر المنثور للسيوطي بين المخطوط والمطبوع)، ص٢٥٤.

(٤) أبو عبدالله، محمد بن يوسف الضبي، ثقة فاضل، نزيل قيسارية بفلسطين والمتوفى بها، روى له الجماعة. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ١١٤، وقد اعتمد تفسيره الثعلبي ضمن مصادره، ورواه بإسناده إليه. ينظر: مقدمة تفسير الثعلبي، تحقيق د. خالد العنزي ص٨٩ ، كذلك أورده السيوطي ضمن مصادره في الدر المنثور ينظر: (مقدمة تفسير الدر المنثور للسيوطي بين المخطوط والمطبوع) ، ص٢٥٤.

أقوالَ السلف واختلط بها ، فأدى إلى حدوث نوع من التناقض بينها، فاحتاج التفسير إلى سبر لمروياته، وتحرير لأقوال المفسرين.

كما وجد منهم من كان متهما بالكذب هالكا في حديثه كالكلبي ومقاتل، أو ضعيفًا كابن زيد ويحيى بن سلاّم، مما أضعف روايات التفسير الواردة عن طريقهم.

المنهج الثاني : الجمع بين الرواية والدراية

سلكه قلة منهم- على رأسهم من ذكرنا من أعلامهم- ومعظمهم من طبقة كبارهم، أما صغارهم فقد تقلص الاجتهاد لديهم إلى أن كاد أن ينعدم في أواخر عهدهم، والطبقة التي تليهم، كما سيأتي.

وهذا الاجتهاد مبني على مصادر التفسير التي سيأتي الحديث عنها ، بل إن كثيرا من أقوالهم هي عبارة عن أقوال المتقدمين تخيروا منها وتبنوها ونسبت إليهم.

لكن بصورة عامة يمكن القول بأنه لم يكن لهم كبير حظ في التفسير الاجتهادي الذي تميز به جيل التابعين، وإنما غلبت على معظمهم الرواية والنقل، حتى بعض من اجتهد في التفسير منهم، لا تكاد تجد له إلا القليل من آثاره الاجتهادية، يظهر ذلك بوضوح عند ابن جريج وابن إسحاق، وأشد وضوحا عند السفيانَيْن.

الطريق الثاني: طريق أهل اللغة:

ظهر في عهد أتباع التابعين جمع من اللُّغويين كان لهم رأي واجتهاد في تفسير القرآن، كقطرب (ت ٢٠٦)، والفراء (ت ٢٠٧)، وأبي عبيدة (ت ٢١٠)، وغيرهم. لكن كان الأصل عندهم في تفسير القرآن: النظر اللغوي؛ مما أوقعهم في ذكر معان ضعيفة أو بعيدة عن مراد الآية[1]، بخلاف طريق السلف التي كان المقصود الأول لديهم هو بيان المعنى المراد، والحديث عن هذا الطريق خارج بحثنا.

المطلب الثاني: مصادر التفسير عند أتباع التابعين

كان لأتباع التابعين مصادر واضحة لم تختلف عن مصادر التفسير التي كان

(١) ينظر : التفسير اللغوي ص ١٤٩-١٥٣.

عليها من قبلهم من الصحابة والتابعين إلا في إضافة مصدر جديد وهو تفسير التابعين، كذلك إضافات يسيرة ناتجة عما استجد في عهدهم، إضافة إلى التوسع في بعض تلك الطرق كما سيأتي، لذا يمكن تعداد مصادر تفسيرهم كما يلي:

١) **القرآن**: توسع بعض أتباع التابعين في تفسير القرآن بالقرآن كثيرا حتى فاقوا من قبلهم ، وكان من أكثرهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[١] **الذي طرق** شتى مجالاته، من بيان مجمل، وتوضيح مبهم، وإيضاح مشكل، والاستشهاد لمعنى بآية أخرى، ومقاتل بن سليمان، الذي برع في نوع جديد من علوم التفسير وهو علم الوجوه والنظائر، وكذلك يحيى بن سلاّم، وسيأتي زيادة بيان ذلك.

٢) **السُنَّة**: خصوصا لدى كبار محدثيهم، لذا امتلأت مروياتهم بآثار السنة المفسرة للقرآن، والمبينة لمشكله، أو الاستشهاد بها على بعض معاني الآية، أو ذكر بعض الآثار المرفوعة المتممة لمعنى الآية، ويظهر هذا جليا في تفسير يحيى بن سلاّم، **الذي أكثر من توظيف السنة في تفسير الآيات، أو تأييد معنى فيها أو تتميمه، أو ترجيحه، سواء كان ذلك من تفسيره أو تفسير غيره[٢]، ولعله بذلك أول من اعتنى بهذا الجانب مثل هذه العناية ، والله أعلم .**

ومن أهم موضوعات السنة التي لها علاقة مباشرة بالتفسير: ما يتعلق بنزول الآيات من ذكر أسبابها، أو تحديد المبهمات، وتسمية من نزلت فيهم الآيات، فقد اعتنى بها أتباع التابعين اعتناء كبيرا وتوسعوا في إيراد سياقاتها[٣]حتى فاقوا التابعين في ذلك[٤]، نجد ذلك التوسع والاعتناء عند جميع من ذكرنا عدا

---

(١) تقدم أنه كان من أكثر مفسري السلف في هذا المصدر حيث بلغت نسبة تفسيره بالقرآن ٥٤٪ من مجموع تفسير السلف بالقرآن عند ابن جرير.

(٢) تقدم تفصيل ذلك في منهج يحيى بن سلاّم في تفسيره، ص١٦٢.

(٣) خصوصا مقاتل بن سليمان الذي يكاد تفسيره يكون خاصا بأسباب النزول وتسمية من نزلت فيهم الآيات، بل تجد عنده في ذلك ما لا تجد عند غيره!

(٤) ينظر: تفسير التابعين ٢/ ٩٦٥ .

السفيانَيْن[1] اللَّذَيْن كانا أقل من روى في ذلك، هذا مع عظم شأنهما، والإجماع على توثيقهما.

أما الباقون فقد شاب مروياتهم في أسباب النزول أمر خطير وهو ضعف أسانيدها أو انقطاعها؛ بل روايتها دون إسناد أحيانا من بعض من هو هالك الرواية عند المحدثين كالكلبي ومقاتل بن سليمان، أو ممن في بعض روايته نظر كابن إسحاق، ومن ينظر -على سبيل المثال- في كتاب (أسباب النزول) للواحدي يجد عشرات الروايات من هذا القبيل عن مثل هؤلاء[2]، مما يستدعي ضرورة البحث عن أصول تلك المرويات وطرقها، خصوصا أن كتب التفسير وأسباب النزول طافحة بها، ولا يقال إن أسباب النزول لها حكم سائر مرويات التفسير من التساهل وعدم الاعتناء، إذ هي -كما هو معلوم- لها حكم الرفع، وبالتالي فمرويات الأتباع لها دون إسناد داخل في المراسيل والمنقطعات، فكيف إذا كان الراوي لها ممن وصف بالكذب ورواية الأحاديث المنكرة؟

٣) **تفسير الصحابة**: كان لتعظيم التابعينَ الصحابةَ وإجلالِهم لتفسيرِهم أثرٌ عظيمٌ عند تلاميذهم من أتباع التابعين، إذ انتقل ذلك الإجلال والتعظيم إليهم، إضافة لما علموه من منزلة الصحابة العظيمة في صحبة النبي ﷺ، ومعاصرتهم التنزيل، ومعرفتهم التامة بلغة العرب وأحوالهم، فكان أتباع التابعين أحرص ما يكون على معرفة أقوال الصحابة والوقوف على آرائهم، لذا كثيرا ما يكون سؤالهم للتابعين عمّا بلغهم عن النبي ﷺ وصحابته[3]، بل إن كثيرا من أقوالهم إنما هي

---

(١) ينظر: (التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم) ص٩١، حيث ذكر مؤلفه أن ابن عيينة كان أقل الأتباع عناية بأسباب النزول عند ابن جرير وابن أبي حاتم!

(٢) من ذلك على مثلا: ٩١ نصا عن الكلبي، ٧ منها مسندة، والباقي معلقة، و٣٤ نصا عن مقاتل بن سليمان لم يسند واحدا منها، و ٥ نصوص عن مقاتل بن حيان، أسند واحدا منها فقط، و٢٨ نصا عن ابن إسحاق ٢٠ منها مسندة. ينظر مقدمة المحقق ص٥٥-٧٢.

(٣) ينظر: تفسير التابعين ٢/ ٩٥٦.

أقوال الصحابة؛ تخيروا منها، وبنوا تفسيرهم عليها، ومن هنا كان اعتناؤهم برواية أقوال الصحابة وحفظها ونقلها والاعتداد بها، وما وصلنا من تفاسيرهم مليء بمروياتهم، كتفسير سفيان الثوري، ويحيى بن سلاّم، وعبد الرزاق الصنعاني.

٤) **تفسير التابعين وأتباعهم**: اعتنى الأتباع بتفسير التابعين، فقد أخذوا منهم، ورووا عنهم، ورجعوا إليهم فيما أشكل عليهم، ونقلوا لنا آراءهم، وبنوا تفسيرهم على أقوالهم، فتجد كثيرا منه لا يكاد يخرج عن أقوال مشايخهم من التابعين، وإنما زيادة بيان لها، وإطالة للعبارة عليها.

بل وُجد من اختص برواية أحدهم وتأثر به في منهج تفسيره، كابن جريج الذي لازم عطاء بن أبي رباح، وحفظ لنا تفسيره وفقهه من خلال مسائله له، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، الذي اختص بنقل تفسير أبيه وتأثر به، حتى قيل أن تفسيره إنما هو ما نقله عن أبيه[١].

كما كان للبيئة التي عاشوا فيها أثر كبير في المنهج التفسيري لبعضهم، كسفيان الثوري الذي نشأ بالكوفة وتأثر بنهج مفسريها الذين اشتهروا بالورع، وقلة المروي، واختصار العبارة في التفسير[٢]، فكان منهجه كذلك.

كذلك أفاد صغار أتباع التابعين من تفسير كبارهم، كيحيى بن سلاّم وعبد الرزاق الصنعاني اللَّذَيْن كانا أكبر المصادر المتقدمة لأقوال الكلبي في التفسير، كما أوردا أيضا أقوال شيخهما سفيان الثوري، وتقدم بيان ذلك عند الحديث عن الكلبي والثوري.

٥) **اللغة العربية**: معرفة اللغة العربية شرط في فهم القرآن، وهي أكبر مصادر تفسيره، لأنها متعلقة بجميع آياته وألفاظه، مما لا يقع للمصادر الأخرى، ولا يخفى

(١) ينظر: العجاب في بيان الأسباب ١/ ٢١٧.
(٢) ينظر: تفسير التابعين ٢/ ٩٧١.

أن الاجتهاد في التفسير مبني على معرفة اللغة العربية إضافة إلى الإلمام بأقوال السلف، وقد توفر ذلك لأتباع التابعين، خصوصا كبارهم الذي عاشوا في أواخر عصر الاحتجاج اللغوي، كما أن هذا العصر شهد تأسيس علوم اللغة ، ووضع ضوابطها وتقعيد أسسها، مما سهَّل معرفتها ، ويسَّر تناولها، لذا برز في هذا الشأن اللغويون الذين خاضوا في التفسير اللغوي للقرآن في كتبهم التي عنونوا لكثير منها بـ(معاني القرآن)؛ ببيان معاني ألفاظ القرآن وتراكيبه إضافة إلى إعرابه، ولكن انتُقِدوا في قلة إلمامهم بالتفسير المأثور في السنة وعن السلف، أو عدم إعمالهم له.

ومما يجدر الإشارة إليه أن كلام تابعي التابعين في اللغة يدخل فيما يحتج به، خصوصا كبارهم الذين شهدوا عصر الاحتجاج اللغوي، فإن لم يدرجوا ضمن من يحتج بكلامهم فلا يخرجون عن كونهم نَقَلة للُّغة، كحال معاصريهم من اللغويين [1].

وعند تتبع تفسيرهم اللغوي يجد أنهم طرقوه بأسلوبين – كعامة مفسري السلف–[2]:

أ) أسلوب التفسير اللفظي: أي تفسير اللفظ بما يطابقه من لغة العرب، مع ذكر الشواهد أحيانا، وأبرز من برع فيه منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[3].

ب) أسلوب الوجوه والنظائر: الذي صار علما من علوم التفسير قائما بحاله، وبرز فيه مقاتل بن سليمان، ويحيى بن سلاّم، وقد أَلَّف كلٌّ منهما كتابا في ذلك، وسيأتي تفصيله في المبحث الأخير.

---

(١) ينظر: التفسير اللغوي ص١٦١.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص٦٧- ١٠٥ .

(٣) من أمثلة ذلك: ما أخرجه ابن جرير الطبري ٢١/ ٥٩٤ عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] أنه قال: «الموت، وقال الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها		سيهلك عنها بعلها أو تسرح»

وينظر أمثلة أخرى له عند ابن جرير: ٥/ ٩٣، ١٤/ ١٨٣، ١٦/ ٢٤٣، ٢٣/ ٣٣٤، وينظر أيضا: الشاهد الشعري في تفسير القرآن ص٣٠١-٣٠٢.

٦) **ما روي عن أهل الكتاب (الإسرائيليات)**: وقد توسعوا فيه كثيرا، ورووا غرائب فيما يتعلق بقصص الأنبياء والأمم السابقة، وأوردوا تفاصيل دقيقة في المبهمات، لا تجدها عند غيرهم[١].

ومما يلحظ هنا أن رواية الإسرائيليات في هذا العصر فاق ما قبله، بل لا يبعد القول أنه لم يفُقْهم أحد من المتقدمين في سرد القصص سوى السُّدِّي (ت١٢٧)، ولعل سبب ذلك هو شغفهم بالجانب القصصي وتفاصيله من تعيين المبهمات وتسمية الذوات[٢]، خصوصا أن المكثرين منهم كانوا أخباريِّين أعلاما في القصص والتاريخ والسيرة، كالكلبي ومقاتل بن سليمان وابن إسحاق، لذا تجد أخبارهم وأسانيدهم مبثوثة في كتب السِّيَر والتاريخ، ومما يؤخذ عليهم في هذا الجانب أنه يغلب عندهم ربط القصة بالآية دون ذكر مستند ذلك، أو بيان من أخذت عنهم هذه المرويات، التي لا سبيل إليها إلا بالرواية والنقل عن المصدر الرئيسي لها، ولا مدخل للاجتهاد فيها كما هو معلوم، هكذا رووا معظمها دون بيان مصدرها أو طريقة تَحَمُّلِهم لها، وهل كان سبيلها النقل المباشر من كتب أهل الكتاب؟ أم عن طريق أهل الكتاب ومن أسلم منهم؟[٣] إلا ما ورد من أخبار عامة تصرِّح بأخذ بعضهم مباشرة من أهل الكتاب[٤].

---

(١) وهذا كثير عند مقاتل بن سليمان الذي انفرد بمرويات لا تجدها عند غيره، ومن هنا لم يجد ابن جرير من عيَّن اسم المراد بقوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ﴾ إلا عنده، فكانت رواية يتيمة في تفسيره عن مقاتل، وتقدمت الإشارة لذلك عند ترجمته.

(٢) وهذا – أيضا– واضح في أسباب النزول من توسع في السياق وتفاصيل للقصة، وربط الروايات للأحداث العديدة في سياق واحد.

(٣) قد يستثنى من ذلك ابن إسحاق فإن معظم مروياته في الإسرائيليات ينسبها لوهب بن منبه، ويرويها عنه من طريق ابن أخيه عبد الصمد بن معقل، أو غيره.

(٤) كقول ابن حبان عن مقاتل: «كان يأخذ عن اليهودي والنصراني من علم القرآن ما يوافق كتبهم»، كذلك قول ابن أبي فديك: «رأيت محمد بن إسحاق يكتب عن رجل من أهل الكتاب»، وقد تقدم ذلك في ترجمة كل منهما.

المطلب الثالث: مظان[1] تفسير أتباع التابعين

أورد تفسيرَ الأتباع كثيرٌ ممن دوَّن التفسير، وبالإمكان تقسيم تلك المظان إلى ما يلي:

أولا: كتب تفسير أتباع التابعين الجامعة بين الرواية والدراية: تقدم أن عصر أتباع التابعين هو بداية التدوين الشامل لمختلف العلوم، ومن ضمنها التفسير، بل إن مِن أعلام مفسري الأتباع مَن كانوا أوائل من ابتدأ التدوين الشامل لعلوم الشريعة، كابن جريج، وابن إسحاق.

وكل من ذكرنا من أعلام الأتباع دوَّن تفسيرا جمع فيه بين الرواية والاجتهاد كما تقدم في تراجمهم[2]، عدا ابن إسحاق فإن تفسيره مبثوث في كتابه عن السيرة والمغازي، وقد وصلنا من تلك التفاسير:

- تفسير مقاتل بن سليمان برواية الهذيل بن حبيب، طبع بتحقيق ودراسة د. عبد الله محمود شحاتة[3].
- تفسير سفيان الثوري برواية أبي حذيفة النهدي، من تحقيق امتياز عرشي.
- تفسير يحيى بن سلاّم ، طبع حديثا بتحقيق د. هند شلبي.

ثانيا: كتب التفسير المأثور المسندة:

ابتداء من كتب الرواية التي أُلِّفت في ذلك العهد، ومما وصلنا – إضافة للتفاسير السابقة:

- تفسير عبد الله بن وهب (ت١٩٧)[4].

---

(١) عنيت بالمظان هنا الكتب التي هي مظنة وجود تفسير الأتباع، ويقال لها المصادر أيضا باعتبار ما يرجع إليه من رام تفسيرهم، وآثرت كلمة المظان لئلا تلتبس بالمصادر في المطلب السابق، والذي نعني بها المراجع الأولية التي يرجع إليها أي مفسر، وقد سماها شيخ الإسلام (طرق التفسير)، وسماها الزركشي في البرهان (مآخذ التفسير) ، وسماها الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (استمداد علم التفسير). ينظر : مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير ص: ١٢٧.

(٢) تقدم عند ذكر مقاتل بن حيان أن أحد الباحثين رجح عدم وجود تفسير له، لكن ما ورد عن المتقدمين يدل على خلاف ذلك.

(٣) كما طبع بتحقيق أحمد فريد في دار الكتب العلمية .

(٤) فيه روايات ونقولات معدودة عن شيخيه مالك بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وتقدم الحديث عنه في المطلب الأول من هذا المبحث.

- تفسير عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١).

ثم الكتب التي أُلِّفت بعد ذلك العهد ، ويأتي على رأسها:

- تفسير عبد بن حميد (ت٢٤٩): وقد طبعت قطعة صغيرة منه مشتملة على بعض سورة آل عمران وسورة النساء[١].

- تفسير محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠): طبع كاملا عدة طبعات، وهو أكبر مصدر لتفسير السلف كما هو معلوم.

- تفسير ابن المنذر (ت٣١٧): وقد طبع جزء منه، يشمل آخر سورة البقرة وآل عمران وما يقرب من نصف سورة النساء[٢].

- تفسير ابن أبي حاتم (ت٣٢٧)[٣]: وجد ما يقارب نصفه، حُقِّق قديما بجامعة أم القرى في عدة رسائل جامعية، كما طبع طبعة سقيمة مع تتمة لنواقصه من تفسيري ابن كثير والدر المنثور[٤].

(١) بتحقيق: مخلف بنية العرف، ونشر دار ابن حزم، بيروت، ط١: ١٤٢٥/ ٢٠٠٤م. وأرى أن تسميتها بقطعة من تفسير عبد بن حميد غير دقيق! لأنها في حقيقتها عبارة عن تعليقات وتتمات من خلال تفسير عبد بن حميد –وتفسير ابن المنذر أيضا– على نسخة مخطوطة لتفسير ابن أبي حاتم، أثبتها صاحب النسخة في هامشها (ينظر مقدمة تحقيق تفسير ابن المنذر١/ ١٤) ، ويظهر أنها آثار مختارة من تفسير ابن حميد وليست قطعة مستوفاة الآثار من ذلك الجزء ، يدل على ذلك أمور، منها:

١ – أن كثير من الروايات تبدأ بقول: قال عبد في تفسيره ، ونحو ذلك.

٢– كثير من المرويات محذوفة السند، وعند السيوطي في الدر المنثور ذكر رجال بعض تلك الآثار المسندة، مثل رقم ٣٣.

٣– وجود ما يشير إلى أنها عبارة عن تعليقات، نحو الآثار ٢٥٨، ٣١٣ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٤٣٥ ، ٤٥١.

٤– بالموازنة مع الدر المنثور وجدت آثاراً عزاها السيوطي لعبد بن حميد غير موجودة في هذه القطعة، مثل بعض ما ورد في تفسير الآيات ٢٨–٣٣ من سورة آل عمران .

(٢) بتحقيق د. سعد بن محمد السعد، ونشر دار المآثر: المدينة النبوية، ط١: ١٤٢٣/ ٢٠٠٢م.

(٣) وهذه التفاسير الأربعة عليها مدار التفسير المأثور، قال الحافظ ابن حجر: «فهذه التفاسير الأربعة قَلَّ أن يشُذَّ عنها شيء من التفسير المرفوع و الموقوف على الصحابة و المقطوع عن التابعين». العجاب في بيان الأسباب ١ / ٢٠٣.

(٤) بتحقيق: أسعد محمد الطيب، ونشر مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة.

- تفسير أبي الشيخ بن حيان (ت٣٦٩)[1]: وهو مفقود، لكن كثير من مروياته مبثوثة في (الدر المنثور).

أما ابن مردويه (ت٤١٠)[2]، فلم يعتن بتفسير أتباع التابعين في تفسيره، ولعل سبب ذلك هو اهتمامه بالمرفوع من آثار التفسير دون غيره، لذا كانت روايته عن التابعين نادرة جدا، وأما تابعوهم فلم يرو عنهم مطلقا[3].

ومن ذلك أيضا الكتب التي أوردت أسانيدها في مقدماتها، ومن أهمها:

- تفسير الثعلبي (ت ٤٢٧)[4]: طبع طبعة سقيمة[5]، وقد حقق منذ مدة في جامعة أم القرى.

- تفسير البغوي (ت ٥١٦)[6]: مطبوع أكثر من طبعة.

ثالثا: كتب التفسير المعتنية بالمأثور غير المسندة: ومن أهمها – مما طبع –:

- تفسير أبي الليث السمرقندي (ت ٣٧٥) المسمى (بحر العلوم) : وقد أورد كثيرا من تفسيري الكلبي ومقاتل.

- تفسير الماوردي(ت٤٥٠) المسمى(النكت والعيون): وتميز باعتنائه بتفسير يحيى بن سلاّم كما تقدم.

---

(١) أبو محمد، عبدالله بن محمد، الحافظ محدِّث أصبهان المعروف بأبي الشيخ، وحَيَّان جدُّ أبيه. انظر: تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٤٥، طبقات المفسِّرين للداودي ١/ ٢٤٠.

(٢) أبو بكر، أحمد بن موسى، الأصفهاني، المحدِّث المفسِّر المؤرِّخ. ينظر: طبقات الداودي ١/ ٩٣.

(٣) ينظر: الإمام ابن مردويه ومنهجه في التفسير، د. محمد عبد الله الخضيري، مجلة الدراسات القرآنية، ع٣، ص٧١.

(٤) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، الإمام الفسر، له أيضا (العرائس في قصص الأنبياء). ينظر: طبقات المفسِّرين للداودي ١/ ٦٥.

(٥) من إصدار دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م، في١٠ أجزاء، بتحقيق أبي محمد بن عاشور، ويُنَبَّه على أن محققه فيه نَفَس الرافضة، فليحذر، ينظر مثلا تعليق له في ٤/ ٣٥٩ .

(٦) أبو محمد، الحسين بن مسعود، الفرَّاء الحافظ المفسر الفقيه الشافعي. والفراء: نسبة إلى عمل الفِرَاء وبيعها. ينظر: طبقات المفسِّرين للداودي ١/ ١٥٧.

- تفسير ابن عطية (ت ٥٤٣) المسمى (المحرر الوجيز).
- تفسير ابن الجوزي (ت ٥٩٧) المسمى (زاد المسير).
- تفسير ابن كثير (ت ٧٧٤) المسمى (تفسير القرآن العظيم).
- (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)للسيوطي (ت ٩١١): وهو أجمعها، وقد حفظ لنا كثيرا من روايات المصادر المفقودة.

رابعا: الكتب الأخرى، خصوصا كتب السِّيَر والتراجم: ومن أهمها سيرة ابن إسحاق، ومختصرها المعروف بسيرة ابن هشام، وقد تقدم أن ابن إسحاق لم يدوِّن تفسيرا؛ لكن تفسيره مبثوث في كتابه السيرة.

أما كتب الحديث الجامعة فقد كان اعتناؤها بالآثار المرفوعة ثم الموقوفة على الصحابة، وقد ترد روايات عن التابعين عند بعضهم كالبخاري في صحيحه لكنها معلقة، أما عن أتباع التابعين فلم أقف على من اعتنى منها بتفسيرهم في أبواب التفسير المعقودة فيها.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني
سمات تفسير أتباع التابعين
وقيمته العلمية ومدى اعتماده لدى المفسرين

المطلب الأول: سمات تفسير تابعي التابعين

من خلال ما سبق في الفصل الأول يتبين لنا أن تفسير تابعي التابعين قد تبوأ مكانة مرموقة عند المفسرين، وهذا يعود إلى مزايا وسمات أهَّلته لذلك، ولعلنا نحاول استجلاء بعض تلك السمات والمزايا فيما يلي:

أولا: كونه في عصر السلف وقرون الخيرية

ففي حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبقُ شهادةُ أحدِهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه**» متفق عليه[1].

وقد بين أهل العلم المراد بهذه القرون الثلاثة، فقال النووي في شرحه لهذا الحديث: «اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ، واختلف في المراد بالقرن... والصحيح أن قرنه الصحابة، والثاني التابعون، والثالث تابعوهم»[2]. وقال الحافظ ابن حجر: «قوله: «**ثم الذين يلونهم**»: أي القرن الذي بعدهم وهم التابعون، « **ثم الذين يلونهم**» : وهم أتباع التابعين» [3].

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أفضلية القرون الثلاثة-ومنهم أتباع التابعين- على من بعدهم، وتميزهم بالخيرية والعدالة، دون من بعدهم الذين كثرت فيهم الصفات الذميمة كالتي أشار إليها الحديث، قال الحافظ ابن حجر: «واستدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم في الفضل، وهذا

---

(١) ينظر: صحيح البخاري ٣ / ١٧١، شرح مسلم للنووي ٨ / ٨٤.

(٢) شرح مسلم للنووي ٨ / ٨٤، بتصرف يسير.

(٣) ينظر: فتح الباري ٧ / ٨.

محمول على الغالب والأكثرية، فقد وجد فيمن بعد الصحابة من القرنين من وجدت فيه الصفات المذكورة المذمومة؛ لكن بقلة، بخلاف من بعد القرون الثلاثة فإن ذلك كثر فيهم واشتهر» [(١)].

وعليه مضى عمل أهل العلم في بيان مراتب الأمة، بإدراجهم ضمن السلف بمراتب ثلاث ابتداء بالصحابة، فالتابعون فتابعوهم[(٢)].

ثانيا: أنه امتداد لتفسير الصحابة والتابعين

أي أن فيه سماته وميزاته، من الوضوح والسهولة والتركيز على المعنى المراد، وترك التكلف والاستطراد، إضافة إلى عدم التوسع، مع الاعتماد على تفسير سلفهم، والتزام روايته، والعناية بإسناده، والاحتفاظ بطابع التلقي فيه، وعدم الخروج عن نهجه وطريقته، إضافة إلى استمرار مسيرة الاجتهاد في التفسير الذي أطلقه الصحابة، وتصدَّر فيه التابعون[(٣)]، واستمر عند كبار تابعيهم إلا أنه قلَّ عند صغارهم، إلى أن كاد يضمحل في الطبقة التي تليهم.

ثالثا: أنه شهد عصر الاحتجاج اللغوي ونشأة علوم اللغة وتدوين مفرداتها:

المتقرر أن عصر الاجتهاد اللغوي ينتهي في حدود عام ١٥٠هـ، وقد أدركه كبار الأتباع، لذا تجد تفسيرهم اللغوي يبلغ الذروة، وإن لم يدخل أتباع التابعين في من يحتج بكلامهم، فلا يخرجون عن كونهم نَقَلة لِلُّغة، يُحْتَجُّ بنقلهم كحال اللغويين الذين عاصروهم، كما تقدم[(٤)].

رابعا: تطور التفسير وتوسعه في عهدهم: وسيأتي تفصيله.

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) كالسيوطي الذي قسم طبقات المفسرين أربعة أقسام، جعل القسم الأول لمفسري السلف بطبقاته الثلاث. طبقات المفسرين ص٩، وينظر: البرهان ٢/ ١٥٨، الإتقان ٦/ ٢٣٤٣.

(٣) ينظر: تفسير التابعين٢/ ٩٦٦.

(٤) ينظر: التفسير اللغوي ص١٦١.

المطلب الثاني: قيمته العلمية ومدى اعتماده لدى المفسرين

كان للمزايا والسمات السابقة في تفسير أتباع التابعين أثرٌ في إكسابه القيمة العلمية التي برزت من خلال اعتماده من قبل أعلام نقلة التفسير– امتدادا لاعتماد أقوال السلف في طبقاتهم الثلاث– واعتبارهم له دون من بعدهم، يظهر ذلك جليا فيما تقدم من اعتناء أئمة التفسير المسندين بنقل تفاسير أعلام تابعي التابعين رواية ودراية ، بدءا بأوائل النقلة من هذا الجيل، جيل الأتباع، الذين نقل صغارُهم تفسيرَ كبارِهم، كما رأينا يحيى بن سلاّم وعبد الرزاق الصنعاني اللّذَيْن نقلا كثيرا من تفسير الكلبي، وكذا الثوري قبلهما في بعض المواضع، كذلك نقلا تفسير شيخهما الثوري، وهكذا غيرهم ممن لم تصلنا كتبهم، ثم الطبقة التي تليهم في القرن الثالث الهجري، الذين توقفوا عن الاجتهاد في التفسير، وجعلوا جُلَّ عنايتهم في نقل تفسير السلف بطبقاتهم الثلاث، من أمثال الإمام أحمد بن حنبل، وعَبْد بن حُمَيْد، وبقي بن مخلد، وابن ماجه وغيرهم ، ثم جاء إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري الذي احتفى بتفسير تابعي التابعين في كتابه، وكانت له عناية خاصة به، من حيث اعتماده والاحتجاج به وترجيحه أحيانا على أقوال من قبله كما تقدم(١)، وفي المقابل كان ينقد أقوال اللغويين المعاصرين لأتباع التابعين ويردها حال مخالفتها لأقوال السلف، مما يدل على عدم اعتبارها عنده في هذه الحال(٢).

---

(١) تقدم أن له اعتناء خاص بتفسير عبد الرحمن بن زيد وترجيحه حتى على أقوال من قبله أحيانا. ينظر: ص١٤٩.

(٢) مثال ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ [القصص: ١٠] بعد أن أورد أقوال السلف ومنهم ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وابن إسحاق وابن زيد وأنها على قولين: الأول أن المراد فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى، والآخر أنه فارغ من الوحي والعهد الذي عهده الله إليها، ثم قال : «وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب [هو أبو عبيدة] معنى ذلك: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ من الحزن، لعلمها بأنه لم يغرق. قال: وهو من قولهم: دم فرغ: أي لا قود ولا دية؛ **وهذا قول لا معنى له لخلافه قول جميع أهل التأويل**». تفسير ابن جرير ١٨/ ١٦٩.

وممن اعتنى بتفسيرهم أيضا ابنُ أبي حاتم[١]- وأيضا ابن المنذر[٢]، وغيرهم.

كما احتفى بتفسير الأتباع المفسرون غير المسندين كالماوردي، وابن عطية، وابن الجوزي، وابن كثير، ثم السيوطي الذي أعمل في تفسيره (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) ما ذكره في طبقات المفسرين[٣]، كل ذلك يدل على قيمة تفسير الأتباع العلمية، ومكانته المعتبرة لدى المفسرين الذين اعتمدوه وقرنوا أصحابه بمن قبلهم، وعدُّوهم جميعا أعلم الناس بتفسير القرآن، واعتبروا خلافهم مظنة للابتداع والانحراف بالتفسير، قال ابن تيمية: «من عَدَلَ عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه، فالمقصود بيان طرق العلم وأدلته وطرق الصواب، ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وكانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسول الله ﷺ ، فمن خالف قولهم وفسَّر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ الدليل والمدلول جميعاً »[٤].

إن نقل تفسير أتباع التابعين والاعتداد به -بلا شك- نتيجة اندراجه في تفسير السلف الذي اعتنت به الأمة، كونه في القرون المفضلة وأقرب إلى منهل النبوة الصافي الذي لم تُكَدِّره البدع وتشوبه الأهواء، بخلاف القرون التالية التي فشت فيها البدع وتعزز أمر المبتدعة، قال الحافظ ابن حجر في معرض شرحه حديث ابن مسعود السابق: «واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا، وأطلقت

---

(١) تقدم أن له عناية خاصة بتفسير مقاتل بن حيان، ينظر: ص١٣٣ .

(٢) تقدم ص١٣٧ أن له عناية خاصة بتفسير ابن جريج، حيث بلغت ١٧٦ أثر من مجموع ٢١٠٩ من القطعة المطبوعة من تفسيره، أي أكثر من ٨٪ في آثار ابن جريج بمفرده!

(٣) كما تقدم في بداية هذا المبحث.

(٤) مقدمة في أصول التفسير، ص٤٣.

المعتزلة ألسنتها[1]، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتُحِن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيرا شديدا، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن، وظهر قوله ﷺ : «**ثم يفشو الكذب**» ظهورًا بَيِّنًا حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات» [2].

وهنا مسألة مهمة ينبغي طرحها، وهي هل كان اعتداد أئمة نقلة التفسير بجميع طبقات أتباع التابعين؟

الذي ظهر لي -والله أعلم- أن اعتدادهم كان بالطبقة الكبرى والوسطى دون صغارهم[3]، حيث لم أر اعتداد الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم بالتفسير النظري للطبقة الصغرى، وربما كان هذا سببا لعدم إيراد تفسير يحيى ابن سلاّم - إن ثبت أنهم وقفوا عليه- ومن في طبقته من صغار الأتباع.

ثم إني لم أقف على مفسر مجتهد في طبقة صغار أتباع التابعين من أهل السنة – سوى يحيى بن سلاّم الذي ألف كتابه بالقيروان بعيدا عن المشرق حيث طلع قرن الابتداع- مما يدل أن أهل السُنَّة في تلك الطبقة ومن بعدهم إلى نهاية القرن الثالث التزموا ترك الاجتهاد في التفسير، مكتفين بنقل تفسير من قبلهم من طبقة الصحابة والتابعين وكبار أتباعهم، ليقف الناس على التفسير الصحيح البعيد عن الأهواء والضلالات، الصافي من شوائب المبتدعة.

ولعلي ألخص ما دعاني لهذا القول في الأسباب التالية:

---

(١) وقد أورد الذهبي في السير تراجم عدد منهم، ينظر: ١٠/ ٥٤١- ٥٥٣.

(٢) فتح الباري ٧ / ٨.

(٣) يلاحظ أن جميع من ذكرنا هم من كبار الأتباع الذين عاشوا بين أواخر القرن الأول ومنتصف القرن الثاني، عدا ابن زيد وسفيان بن عيينة فهما من الطبقة الوسطى، ولا يوجد من صغارهم إلا ابن سلاّم، ولا يُشْكِل كَوْن وفاة سفيان بن عيينة عام ١٩٨ فقد امتد به العمر إلى ذلك العهد.

١- أن المتقرر أن عصر الاجتهاد اللغوي ينتهي في حدود عام ١٥٠هـ ، ولا شك أن هذا التاريخ أدركه كبار أتباع التابعين دون صغارهم.

٢- أن ابتداء انتفاش الباطل وبروز المبتدعة وتطاولهم كان في أواخر القرن الثاني الهجري، ولم يكد القرن الثالث يستهل حتى وصلوا بلاط الخليفة المأمون (خلافته ١٩٨- ٢١٨) وتمكنوا من إقناعه بمذهب المعتزلة الفاسد، فابتدأ امتحان العلماء بما يعرف بفتنة خلق القرآن.

٣- صنيع أئمة نقَلَة التفسير المأثور من المتقدمين ممن وصلتنا تصانيفهم، وعلى رأسهم إمام المفسرين الطبري، فلم أقف على روايتهم عن أحد من صغار أتباع التابعين.

٤- انقطاع الاجتهاد في التفسير عند أهل الأثر في أواخر عصر أتباع التابعين، وانحسار عنايتهم بنقل تفسير من سلفهم من الصحابة والتابعين وكبار أتباعهم فحسب، إلى أواخر القرن الثالث الهجري.

فإن قيل: إن صغار أتباع التابعين مندرجون في قرون الخيرية؛ فيجاب بأن الخلاف كبير في تحديد مدة القرن، حتى حكى بعضهم تفاوتا في مدة كل طبقة، ولا شك أن أوَّل من يخرج من هذه الميزة ويضعف انتسابهم إليها- في حال القول بضيق مدة القرن- هو هذا الجيل آخر أجيال طبقات السلف، بينما كان حظ من قبلهم أكبر في نيل ذلك الشرف.

وأختم فأقول: إنه بعد هذا البيان الواضح في اندراج أتباع التابعين ضمن القرون المفضلة فإنه لا عبرة بمن خالف ذلك ، بأن أخرجهم جميعا من دائرة تفسير السلف الذي يُنقَل ويُعتمَد عليه، لأن ذلك خلاف عمل جهابذة المفسرين من المتقدمين والمتأخرين.

المبحث الثالث

أثر أتباع التابعين في التفسير

المطلب الأول : تطور تدوين التفسير في عهدهم وتوسعه

يعتبر عصر أتباع التابعين مرحلة فاصلة في تاريخ تدوين العلوم عموما، وتقدم في التمهيد نبذة عما استجد في الحركة العلمية في ذلك العصر، وكان لذلك أثر في التفسير، نجمله فيما يلي:

١- توسع التفسير بشموله جميع آيات القرآن:

كان من ميزة تفسير السلف عموما أن يفسر من القرآن ما أشكل واحتيج إلى بيانه، ذلك أن القرآن نزل بلسان عربي مبين على أهل لغته، فكان الرجل يأتي النبي ﷺ فيسمع القرآن ويفهمه مباشرة، ومن ثَمَّ يُسْلِم، هكذا كان جيل الصحابة، إلا أن يشكل عليهم شيء فيسألوا النبي ﷺ، ثم جاء جيل التابعين وكانوا على قدر كبير من إدراك اللغة وبالتالي فهم القرآن، لكن لما دخل في الإسلام من ليس من أهل اللغة العربية صَعُب عليهم فَهْمُ كثير من آيات القرآن، فاضطر الصحابة والتابعون من بعدهم إلى توضيح كثير من آياته لهم، وبذلك توسع التفسير، وهكذا لما جاء جيل أتباع التابعين كان التوسع أكثر من قبل، حتى ظهر من فسر جميع سوره وآياته ومعظم ألفاظه، كما رأينا في تفسير مقاتل بن سليمان ، ويحيى بن سلاّم، مع أن بعض الأتباع قد كَرِه هذا المنهج، فهذا وكيع بن الجراح (ت١٩٧) يحكي عن سفيان الثوري (ت١٦١) أنه كان لا يعجبه الذين يفسرون السورة من أولها إلى آخرها مثل الكلبي.[١]

والسؤال هنا **هل هذا المنهج حادث في جيل أتباع التابعين أم كان قبله؟**

(١) الجرح والتعديل ٧/ ٢٧٠.

أقول -والله أعلم-: إن المتأمل في تفسير من قبلهم وأخبار مفسريهم؛ يجد ما يشير إلى وجود تفسير كل لفظ في الآية عندهم، كالذي ذكره ابن أبي مليكة (ت١١٧)، قال: «رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول له ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير، كله» [(١)].

كذلك وُجِد في ما وصلنا من آثار التابعين من توَسَّع في التفسير جدا حتى فسَّر الواضح من القرآن، من ذلك تفسير سعيد بن جبير من رواية عطاء بن دينار[(٢)] عند ابن أبي حاتم[(٣)]، حيث إن الناظر فيه يلمس بوضوح تفصيل سعيد بن جبير لكل لفظ في الآية مع وضوحه، فعلى سبيل المثال هذه الآيات من سورة النور، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ الآية، فسرها بقوله:

«﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾[النور:٢] يعني إذا كانا بكرين لم يحصنا يجلدهما الحكام إذا رفع إليهم وشهد أربعةٌ من المسلمين أحرارٌ عدولٌ، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا﴾ يعني في ضربهما. ﴿رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾. يعني في حكم الله الذي حكم على الزاني، ﴿إِن كُنتُمْ﴾ يعني: الحكام، ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ يعني: تصدقون بالله يعني بتوحيد الله، ﴿وَٱلْيَوْمِ

(١) تفسير الطبري ١/ ٨٥.

(٢) وهو من ثقات أهل مصر، ولم يسمع من سعيد مباشرة، وإنما وجد في الديوان بدمشق صحيفة التفسير التي كتبها سعيد بن جبير لعبد الملك بن مروان بطلب منه، فروى منها، ينظر: الجرح والتعديل ٣/ ٣٣١، ومعلوم أن هذه الصحيفة من أوائل ما دوِّن من التفسير، وقد اعتنى ابن أبي حاتم برواية عطاء عن سعيد، ولو وصلنا تفسير ابن أبي حاتم كاملا لأمكن جمع هذه الصحيفة كلها أو جلها!

(٣) أورد ابن أبي حاتم عشرات الروايات من هذه الطريق، بينما لم يورد ابن جرير منها إلا في ثلاثة مواضع فقط! ولعل هذا كان سببا في كون آثار سعيد بن جبير التفسيرية عند ابن أبي حاتم أكثر منها عند ابن جرير. (ذكر د. محمد بن عبد الله الخضيري أن نسبة مرويات سعيد عند ابن أبي حاتم زادت بثلاثة أضعاف عما عند ابن جرير، ثم صرَّح أنه لم يتبين له سبب ذلك، ينظر: التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم ص٨١).

﴿ٱلۡأٓخِرِ﴾. يعني: وتصدقون بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال، فأقيموا الحدود، ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ﴾. يعني: وليحضر، ﴿عَذَابَهُمَا﴾. يعني: حدَّهما، ﴿طَآئِفَةٞ﴾ يعني رجلين فصاعداً، ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. يعني: المصدقين »[1].

مما سبق يمكن القول أن بيان معنى كل لفظ في الآية قد وُجِد قبل عصر أتباع التابعين، لكن في نطاق محدود ، ويبدو أن لتلاميذ ابن عباس رضي الله عنه السبق في ذلك، وهو نتيجة لما اشتهر عنهم من التوسع في الاجتهاد في التفسير لظهور الحاجة إلى ذلك، ثم لما جاء عصر تابعي الأتباع كانت الحاجة أكبر، وبالتالي كان التوسع في ذلك أكبر، حيث ظهرت التفاسير التي تفسر القرآن كاملا، كتفسير الكلبي، وتفسير مقاتل بن سليمان، وتفسير يحيى بن سلاّم.

٢- التوسع في مصادر التفسير وموضوعاته : خصوصا ما يلي :

- **التفسير بالقرآن** : الذي نشأ في عهد الرسول ﷺ ، وسلكه مفسرو الصحابة ومن جاء بعدهم، لكن توسع فيه تابعو التابعين توسعا كبيرا حتى صاروا أكثر الطبقات الثلاث إعمالا له[2]، وظهر ذلك جليا عند مقاتل بن سليمان وعبد الرحمن بن زيد ن أسلم ويحيى بن سلاّم.

- **التفسير بالسنة:** خصوصا يحيى بن سلاّم الذي وظَّف السنة في تفسير الآيات أو تأييد معنى فيها أو تتميمه، أو ترجيحه بشكل جلي، كما تقدم.

- **التفسير باللغة:** وقد توسع فيه لغويو أتباع التابعين كثيرا، وضمَّنوه علوم اللغة الناشئة من نحو وإعراب واشتقاق وأساليب، أما مفسروهم فقد أدخلوا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨/ ٢٥١٨- ٢٥٢١ . وينظر أيضا تفسير آية الدين ٢/ ٥٥٧-٥٦٨، وقد أورده السيوطي مجموعا في الدر المنثور ٣/ ٣٩٥.

(٢) أثبت ذلك د. محمد عبد الله الخضيري في بحثه (التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم) ، ص٩١، وعلّل ذلك بما أورده ابن جرير وابن أبي حاتم من تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي لا يفوقه أحد من السلف في ذلك ممن أخرجا تفسيرهم . قلت: فكيف لو أخرجا تفسير مقاتل بن سليمان، ويحيى بن سلام؟

بعض ذلك على نطاق ضيق، كعبد الرحمن بن زيد في الاعتناء بشرح الغريب وذكر الشواهد، ويحيى بن سلاّم في الاعتناء بتوجيه القراءات المختلفة[١]، أما أهم جانب لغوي طرقوه فهو الوجوه والنظائر، وسيأتي بيانه.

- **الإسرائيليات**: تقدم في مصادر تفسيرهم أن أغلبهم توسع فيها، لاسيما الكلبي ومقاتل بن سليمان وابن إسحاق.

- **الاستنباط واستخراج المعاني الدقيقة للآيات، وإيراد لطائف التفسير**: تميز في ذلك سفيان بن عيينة الذي فاق جميع أقرانه ومن قبلهم في هذا النوع من التفسير، كما تقدم.

٣- ظهور علم الوجوه والنظائر:

الوجوه: هي المعاني المختلفة للَّفظ القرآني، والنظائر: الآيات الواردة في الوجه الواحد[٢]، و(الوجوه والنظائر) علم من علوم التفسير المهمة، برز فيه مقاتل بن سليمان الذي كان أوَّل من ألّف فيه كتابًا مستقلًا[٣]، وبرز في تفسيره بجلاء[٤]، وكل من جاء بعده عيال عليه في هذا العلم، غاية كل منهم الاستدراك عليه[٥]، كما أَلَّـفَ فيه من أتبـاع التابعين [٦]: الحسـين بن واقد المروزي (ت١٥٩) [٧]،

(١) ينظر: مقدمة تحقيق تفسيره ١/ ١٥، ومن أمثلة توجيه القراءات في تفسيره: ١/ ٢٠٥، ٢/ ٤٧١، ٤٨٨.

(٢) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم ص١١٩.

(٣) ينظر: البرهان للزركشي ١/ ١٠٢. وقد طبع كتابه باسم (الأشباه والنظائر) من تحقيق د. عبد الله شحاتة عام ١٩٧٥م نشر الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة، وأعيد طبعه عام ٢٠٠٣م من إصدار دار غريب بالقاهرة، كما طبع بتحقيق أ.د. حاتم الضامن عام ٢٠٠٦م، باسم (الوجوه والنظائر) وإصدار مركز جمعة الماجد بالإمارات.

(٤) تقدم في ترجمة مقاتل أن د. عبد الله شحاتة محقق تفسيره أحصى فيه ٢٤٠ موضعا من الوجوه والنظائر.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل (قسم الدراسة) ٥/ ٦٩-٧٢، أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، ص١١٩.

(٦) ذُكر أن الكلبي ألّف كتابا في الوجوه والنظائر، لكن لم يشتهر كشهرة كتاب مقاتل. ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم ص١١٩.

(٧) أبو علي القرشي مولاهم، المفسر، المحدث، القاضي، له تفسير القرآن، والناسخ والمنسوخ، ووجوه القرآن. ينظر: طبقات المفسرين للداودي١/ ١٦٣. و كتابه في التفسير أحد مصادر الثعلبي، والذي أطلق عليه (تفسير الواقدي)! ينظر: مقدمة الكشف والبيان عن تفسير القرآن ص٧٨، وقيل غير ذلك، ينظر: فهرست مصنفات التفسير ٣/ ٤٨٣. كذلك لابنه علي بن الحسين (ت ٢١١) كتاب في الوجوه والنظائر=

وهارون بن موسى الأعور (ت١٧٠)(١)، ويحيى بن سلاّم (ت٢٠٠)، الذي أبرز هذا العلم في تفسيره بصورة جلية(٢).

٤- ظهور كتب التفسير الشاملة الجامعة بين المنهجين الأثري والنظري (الاجتهادي):

ظهر الاجتهاد في التفسير منذ عهد الرسول ﷺ ، ثم في عهد الصحابة حيث توسعوا فيه، وكان لابن عباس الأثر الكبير في ذلك، ثم لتلاميذه من بعده في عصر التابعين كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، غير أن بعض التابعين كره التوسع فيه، خصوصا في المدينة والكوفة(٣)، وقد كان يُروَى التفسير للمفسر من الصحابة أو التابعين، وفيه ما هو من اجتهاده؛ إما بمعنى جديد أو تخيرا من بين أقوال من قبله وتبنيه، ثم لما جاء عصر أتباع التابعين، وتقعدت علوم اللغة العربية؛ ظهر من اللغويين من فسَّر القرآن باللغة فحسب، مما جعل السلف ينبذون ذلك الطريق، ويدعون إلى ما كان عليه الصحابة والتابعون، نظرا لما أحدث ذلك من فتح باب للمبتدعة لتأويل القرآن حسب أهوائهم، حتى جاء ابن جرير الطبري فجمع بين الطريقتين، والسؤال المطروح هنا: هل ابن جرير أوّل من ابتدأ ذلك؟ أم أن هناك حلقة مفقودة بين عصره وعصر السلف تطور فيها التفسير حتى اكتمل على يديه؟

إن السبيل للإجابة على ذلك هو الاطلاع على كتب التفسير الجامعة المدونة في

=كان أحد مصادر الثعلبي حيث أطلق عليه (النظائر)، ينظر: المرجع السابق ص١٠٩، فهرست مصنفات التفسير ٣/ ١٢٩٤، ١٣٢٨.

(١) أبو عبد الله البصري، القارئ النحوي، كان أول من سمع بالبصرة من وجوه القراءات وألّفها، وتتبع الشاذ منها . ينظر: غاية النهاية ٢/ ٣٤٨. وكتابه مطبوع بتحقيق د. حاتم الضامن، ويكاد يكون نسخة من كتاب مقاتل ، ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم ص١٢٠.

(٢) ويبدو أنه ألّف كتابه في الوجوه والنظائر بعد التفسير واستله منه، إذ لا ذكر له في التفسير، إضافة إلى أن معظم مادته موجودة في تفسيره. ينظر: مقدمة تحقيق تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري ١/ ٣٠.

(٣) كسعيد بن المسيب ، وإبراهيم النخعي. ينظر: تفسير التابعين ٢/ ٧١٩.

تلك المدة، وقد ظهر بين أيدينا كتابان كاملان لتفسير القرآن ينتميان لطريقة السلف في إيراد ما أثر عنهم مع شيء من اجتهاد المفسرين، هما تفسير مقاتل بن سليمان ويحيى بن سلاّم.

وقد ادعى بعض المعاصرين أن يحيى بن سلاّم هو أول من جمع بين المنهجين، وأورد أقوال السلف وناقشها، ورجح بينها، وأعمل قواعد اللغة الناشئة في القرآن، وأنه الحلقة الواصلة المتممة بين عصر السلف وابن جرير الطبري[(١)]، وزعموا بأن ابن جرير اطّلع على تفسير ابن سلاّم مؤكدين ذلك بوجود رواية ليحيى عند ابن جرير![(٢)] والجواب على ذلك من وجوه:

١- أن يحيى بن سلاّم مُقِلٌّ في باب الترجيح والنقد والمناقشة، يورده أحيانا بألفاظ موجزة جدا تدل على اختياره لكن دون مناقشة، وهذا لا يكفى للحكم بأنه أعمل منهج النقد في التفسير، خصوصا إذا علمنا أن ذلك المنهج مروي عمّن قبله في مسائل منثورة، فهذا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يمثل حلقة مهمة في تطور

---

(١) منهم الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في كتابه (تاريخ التفسير ورجاله) حيث قال ص٤١: «والحال أن الحلقة التي يتم بها اتصال السلسلة وضاعت عن الكاتبين المحدثين في تاريخ التفسير: من المستشرقين وغير المستشرقين، هي حلقة أفريقية تونسية، بالوقوف عليها يتضح كيف تطور فهم التفسير عما كان عليه في عهد ابن جريج، إلى ما أصبح عليه في تفسير الطبري، ويتضح لمن كان الطبري مديناً له بذلك المنهج الأثري النظري الذي درج عليه في تفسيره العظيم». وتبعته في ذلك د. هند شلبي محققة تفسير يحيى بن سلام ١/ ١٠، ١٤-١٦، وصاحب رسالة (منهج يحيى بن سلام في التفسير)، ص٧٩.

(٢) وردت رواية يتيمة من روايات يحيى بن سلاّم عند ابن جرير ٣ / ٤٢٧، عن شيخه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت٢٦٨)، قال: ثنا يحيى بن سلاّم، أن شعبة حدثه عن ابن أبي ليلى، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، قال: «رخص رسول الله ﷺ للمتمتع إذا لم يجد الهدي ولم يصم حتى فاتته أيام العشر، أن يصوم أيام التشريق مكانها». وهي رواية مرفوعة في مسألة فقهية تندرج ضمن مرويات الحديث التي يتناقلها المحدثون كما يظهر من إسنادها، فلا علاقة لها بالتفسير المباشر، ولا دلالة فيها على وقوف ابن جرير على تفسير يحيى بن سلاّم، كما ادعت محققته ١/ ١٦. ينظر أيضا : مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير ص ٣٨٨.

التفسير، ومن تتبع بعض ما روي عنه لوجد شيئا من ذلك، فعلى سبيل المثال تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ ، قال: « العلماء يقولون فيه قولان: منهم من يقول: ساق الآخرة بساق الدنيا، وقال آخرون : قَلَّ ميتٌ يموت إلا التفت إحدى ساقيه بالأخرى. قال ابن زيد: غير أنا لا نشك أنها ساق الآخرة، وقرأ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ قال: لما التفت الآخرة بالدنيا، كان المساق إلى الله، قال: وهو أكثر قول من يقول ذلك »[1].

فابن زيد هنا ينظر في الأقوال ويناقش ويرجح بقواعد واضحة، وهذا ينقض ما ادعي بأن يحيى بن سلاّم أوّل من فعل ذلك، ولا يبعد أن يكون استفاد من ابن زيد أثناء تتلمذه على يديه بالمدينة، والله أعلم.

٢- أن مجمل ما في تفسير يحيى بن سلاّم من منهج التفسير اللُّغوي وإعمال قواعد اللُّغة الناشئة وعلومها متعلق ببيان الأساليب اللغوية من توضيح المفردات، ومعاني الحروف ، والتقديم والتأخير، وبيان معاني الاستفهام[2]، ومثل هذا منثور في تفسير من تقدمه أيضا، وإن كان من تميّز في هذا الباب فهو في كثرة توجيه القراءات، أما دعوى محققة تفسيره أن من العناصر التي أدخلها ابن سلاّم في التفسير: الاهتمام بالإعراب وتعليله[3]؛ فلم أقف على ذلك في المطبوع من تفسيره، حيث حاولت تتبع الآيات المشكلة في الإعراب فلم أجده يتطرق إلي إعرابها [4]، كذلك لم يتميز ابن سلاّم بذكر الشواهد اللغوية مع أنه جانب مشهور عند من قبله[5]، كل ذلك ينقض الجزم بأن ابن سلاّم أول من أدخل قواعد اللغة الناشئة في

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٣/ ٥١٨.

(٢) ينظر ذلك في رسالة (منهج يحيى بن سلام في التفسير)، ص٢٥٩-٢٧١.

(٣) ينظر : تفسير يحيى بن سلام ١/ ١٥.

(٤) ينظر موازنة بين تفسيري ابن سلام وابن جرير في هذا الجانب: رسالة (منهج يحيى بن سلام في التفسير)، ص٥٤٨.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص٥٤٧.

التفسير، وجمع بين المنهجين الأثري واللغوي.

٣- كذلك لا يصح الجزم باطلاع ابن جرير على تفسير يحيى بن سلاّم لمجرد احتمال بعيد، ثم إن الواقع يدل على أن شهرة تفسير ابن سلاّم كانت محدودة الزمان والمكان، فلم يتجاوز المغرب والأندلس خلال القرنين الثالث والرابع؛ لذا لم يُفِد منه المشارقة المتقدمون لعدم اطلاعهم عليه، ويبعد تواطؤهم على إهماله مع اطلاعهم عليه، ويظهر أن وصوله إلى المشرق كان في القرن الخامس بعد أن خبت شهرته، وفقدت نسخه الكاملة[(١)].

هذا وقد ظهر بين أيدينا تفسير مقاتل بن سليمان وفيه شيء كثير من النظر والاجتهاد إضافة إلى ذكر مرويات من قبله، وعلى يديه نشأ علم الوجوه والنظائر الذي كان بارزا في تفسيره، بل أَلَّف فيه كتابا مستقلا كما تقدم، وقد استفاد منه يحيى بن سلاّم في كتابه عن الوجوه والنظائر[(٢)]، فلا يبعد أنه أيضا استفاد من كتاب مقاتل في التفسير، وربما تتلمذ عليه، لا سيما أن مقاتلا قضى آخر حياته بالبصرة حيث نشأ ابن سلاّم، وتحتاج المسألة إلى استقراء تام لتفسيريهما وإجراء دراسة موازنة بينهما لنخرج بنتائج مهمة تجلي لنا هذا الأمر بشكل أدق.

مما تقدم يتضح أن الجزم بأن يحيى بن سلاّم أوّل من أنشأ هذه الطريقة ليس في محلِّه، ولكنه - بلا شك- يُشكِّل لَبْنَةً في بنائها حتى اكتمالها على يد ابن جرير.

ثم إن هنا مسألة جديرة بالبحث، وهي أنه لم يوجد ما بين عصر أتباع التابعين وعصر ابن جرير الطبري -الذي يمثل الجيل الثاني أو الثالث بعدهم- من كان له اجتهاد بارز في التفسير كما كان الحال في الطبقات الثلاث السابقة[(٣)]، فما سبب ذلك؟ وأين الحلقة المتممة بينهما ؟

---

(١) يراجع ما تقدم ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) ذكر ذلك د. مساعد الطيار من خلال الموازنة بين كتابيهما، ينظر: أنوع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن ص١٢٠.

(٣) ينظر: التفسير اللغوي ص٥٨، حاشية (٢) ففيها كلام نفيس متعلق بالمسألة.

يجاب بأن سبب ذلك لعلّه ما استجد من إقحام علوم الأمم السابقة كعلم الكلام من قبل أهل الأهواء -خصوصا المعتزلة- في فهم نصوص الشرع ، وإعمال عقولهم المجردة في الاستدلال بها، واتخاذها أساسا في الحكم عليها، ومن ثم ليّ أعناقها وفق أهوائهم، وادعائهم أن ذلك السبيل للوصول إلى الحق، وتعاليهم على من لم يُلِمّ بها، هذا إضافة إلى ظهور علوم اللغة وتقعيد أصولها وتدوين ألفاظها بمعانيها الواسعة الذي كان إعمالها في تفسير القرآن سلاحا ذا حدين[1]، حيث أصبحت نهبا يتعاوره الجميع، ومهيعا يرِدُهُ كل مُحِقٍّ ومُبْطِل، فاستغله أهل الأهواء وجعلوه مطية لتأييد دعواهم ومعتقداتهم الفاسدة، واتخذوه طريقا إلى الانحراف بالتفسير، فظهر منهم لغويون ألَّفوا في معاني القرآن منتصرين لبدعهم، مثل قطرب (محمد بن المستنير ت٢٠٦)، والأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة ت٢١٥).

كل ذلك ربما كان سببا كافيا في إحجام ذلك الجيل في القرن الثالث عن التفسير الاجتهادي واقتصارهم على نقل تفسير السلف قبلهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وروايته وتدوينه، وذلك سدًّا لهذا الباب، الذي ولج منه المبتدعة ، فلعل أعلام السلف يومئذ أرادوا أن يعودوا بالوسط العلمي إلى الفهم الصحيح لكتاب الله من خلال فَهْم من نزل فيهم القرآن وأتباعهم، وفي هذا رد على المعاني الفاسدة والتأويلات الضالة التي أحدثها المبتدعة في تفسير كتاب الله، ومن هنا لا تكاد تجد في القرن الثالث مفسرا من أهل السنة ألّف تفسيرا اجتهاديا، وفي المقابل تجد عشرات من شارك في التفسير بتصنيف جوامع تنقل المأثور عن السلف في التفسير، كعبد الرزاق (ت٢١١)، والفريابي (ت٢١١)، وأحمد بن حنبل(ت٢٤١)، وعبد بن حميد(ت٢٤٩)، وبقي بن مخلد (ت٢٧٦)، وابن ماجه (ت٢٧٩)، وإبراهيم الحربي (ت٢٨٥)، وغيرهم.

---

(١) ينظر: التفسير اللغوي ص٦٧٧.

وقد رويت عن بعضهم عبارات توحي بكراهتهم الاجتهاد في التفسير دون الرجوع لأقوال السلف، كقول الإمام أحمد عن الفراء : « كنت أحْسَب الفرَّاء رجلا صالحًا حتى رأيت كتابه في معاني القرآن»[1]. وما روي عن الجرمي(ت٢٢٥) أنه أتى أبا عبيدة معمر بن المثنى(ت٢٠٩) بشيءٍ من كتابه (مجاز القرآن) فقال له: «عمّن أخذت هذا يا أبا عبيدة، فإن هذا تفسيرٌ خلاف تفسير الفقهاء [أي مفسري السلف]؟ » فقال: «هذا تفسير الأعراب البوّالين على أعقابهم، فإن شئت فخذ وإن شئت فذر! »، ومثله ما روي أن الأصمعي(ت٢١٧) لما وقف على كتاب أبي عبيدة عابه عليه وقال: «يفسِّر القرآن برأيه!»، وكذلك أبو حاتم السجستاني (ت٢٥٥) الذي قال عنه: «أخطأ وفسّر القرآن على غير ما ينبغي»[2].

وظلت هذه طريقة مفسري أهل السنة حتى برز إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠) في أواخر القرن الثالث فانتهج نهجا جديدا، يجمع بين المنهج النقلي والاجتهادي، ويوَظِّف علوم اللغة في بيان معاني الآيات؛ لكن باعتماد أقوال السلف أساسا، واتخاذها حاكما على أقوال اللغويين واجتهادات المتأخرين، وكان هذا المنهج مرحلة جديدة في التفسير، تطلَّبها تمادي أهل الأهواء في تأويل القرآن معتمدين على سعة اللغة، بل وإحداثهم لمعان لغوية مَولَّدة، لا أصل لها في منطق العرب، مع نبذهم لأقوال السلف، وانتقاصهم من شأنها، أنتج ذلك نزعة غرور أكسبتهم ادعاءً أن آلة التأويل وقْفٌ عليهم، لا يُحسِن غيرُهم أن يتعاطاها، مما

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) ١٦/ ١٥٥، ذكر ذلك في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ حيث أورد قول الفراء – ومن تبعه– أن معنى الآية : ذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع . ثم بعد نقده لهذا التفسير قال: «وهذا الذي قالوه له معنى صحيح، وهو قول الفَرّاء وأمثاله، لكن لم يقله أحد من مفسري السلف؛ ولهذا كان أحمد بن حنبل ينكر على الفراء وأمثاله ما ينكره، ويقول: كنت أحْسَب الفرَّاء رجلا صالحًا حتى رأيت كتابه في معاني القرآن».

(٢) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ص١٨٦، تاريخ الأدب العربي لمصطفى صادق لرافعي ١ / ٤٠٧.

أوجب على أهل السنة ضرورة طَرْق منهجهم، واستدعى الجمع بين الطريقين النقلي والعقلي لنصرة مذهب السلف من جهة، وكشف مغالطاتهم، وفضح تلبيساتهم على العامة متدثرين بفنون اللغة، وعلم الكلام = من جهة أخرى(١)، ولا شك أن هذا منهج سديد في الرد على المبطلين من خلال علومهم التى ترفعوا بها، وادعوا أن كمال العلم لا يتم إلا بامتطائها(٢)، والله أعلم.

المطلب الثاني: مقدار تفسير أتباع التابعين وأسباب قلة المروي عنهم

تفسير أتباع التابعين أقل تفسير طبقات السلف الثلاث نقلا عند أئمة التفسير(٣)، هذا رغم ما ذكرنا من توسع التفسير في عهدهم وشموله لجميع آيات القرآن وسوره، وتوسع في مصادره، إضافة إلى ظهور علوم جديدة فيه، كل ذلك يستلزم أن يكون مقدار تفسيرهم أكبر عند المفسرين! فما الأسباب التي جعلته أقل الطبقات الثلاث؟ يمكننا إجمال ذلك فيما يلي:

١- قلة عدد المفسرين المجتهدين منهم مقارنة بالصحابة والتابعين(٤)، وتوجه أغلبهم إلى مجرد نقل تفسير من قبلهم.

٢- عدم اعتداد أئمة نقلة التفسير- من حيث الجملة- بالمكثرين منهم الذين رويت لهم تفاسير كاملة شاملة لآيات القرآن، إما بسبب اتهامهم بالكذب في

---

(١) ينظر في ذلك : التفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور ص٣٠.

(٢) ينظر في ذلك: فقه الرد على المخالف ص ٢٣٢.

(٣) ففي إحصاء د. محمد عبد الله الخضيري شكل تفسير أتباع التابعين ما نسبته ١٤٪ من تفسير السلف عند ابن جرير، و ١٣٪ عند ابن أبي حاتم، (التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم ص٨٨). ولا شك أن هذه النسبة ستعلو كثيرا لو أدخل ضمنها تفسير الكلبي ومقاتل ويحيى بن سلام.

(٤) أحصى د. محمد عبد الله الخضيري روايات التفسير الموقوفة عند ابن جرير عن ١٦٨ صحابي، وعند ابن أبي حاتم عن ١٣٩ صحابي ، المكثرون منهم ١٢ صحابيا ، ومن التابعين ٦٠ عند ابن جرير، و ٦٤ عند ابن أبي حاتم، أما عند أتباع التابعين فقد بلغوا حدود ٣٠ عند كل منهما، ينظر: التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم: ص ٦٨، ٧٨، ٧٩، ٨٨، ٨٩.

الرواية وانتحال المذاهب الفاسدة كالكلبي ومقاتل بن سليمان، أو لأسباب أخرى كيحيى بن سلاّم.

٣- عدم تفرغ كبار ثقاتهم للتفسير ومشاركتهم في معظم علوم الشريعة حتى كانوا رؤوسا في كل منها، ويظهر هذا جليا في السفيانين، ثم في ابن جريج وابن إسحاق، فقد كانوا من المكثرين في الحديث ممن تدور عليهم مروياته، ولعل سفيان الثوري مثال جلي في ذلك فقد كان رأسا في الحديث والفقه والتفسير وألّف في كل منها، وكان له مذهب فقهي معروف، فلا شك أن التقلب في مثل هذه العلوم يضعف الإنتاج التفسيري، واستفراغ الجهد في أحدها يقوِّيه، يظهر ذلك بوضوح في مثل مجاهد من التابعين، ومقاتل وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم من أتباعهم.

٤- قد يكون للمنهج المتبع عند بعضهم أثر في قلة تفسيره، فهذا سفيان الثوري كان من منهجه في التفسير أنه لا يقول في القرآن برأيه بل يتَّبع الصحابة والتابعين، ولا يفسر من القرآن إلا ما أشكل ، وكذا سفيان بن عيينة الذي كان مع سعة علمه أكف الناس عن الفتيا(١).

هذا مقدار تفسيرهم من حيث الجملة وأسباب قلة المروي عنهم، أما مقدار تفسير كل منهم ونسبته، فربما يصعب تحديده نظرا لفقدان تفاسير كثير منهم، وفي المقابل قلة رواية تفسيرهم عند المفسرين، لكن من خلال المعطيات المتحصلة عما روي من حجم تفسير بعضهم ومقدار ما فيه من أقوالهم، وما نقل من تفرغ بعضهم للتفسير وشهرتهم به، كذلك ما وصلنا من تفاسير بعضهم، إضافة لمقدار مرويات بعضهم عند المفسرين(٢) = يمكننا القول أن المكثرين منهم في التفسير

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٥٨.

(٢) من ذلك ما أورده د. محمد عبد الله الخضيري من أن أكثر الأتباع تفسيرا عند ابن جرير هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ثم ابن جريج ثم ابن إسحاق ثم ابن عيينة، أما عند ابن أبي حاتم فقد جاؤوا على=

الاجتهادي هم: الكلبي(١)، ومقاتل بن سليمان(٢)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ويحيى بن سلاّم(٣)، ثم يأتي في المرتبة الثانية مقاتل بن حيان، وابن جريج، وابن إسحاق، ثم المُقِلّون وهم السفيانان.

المطلب الثالث: مآخذ على تفسير بعض أتباع التابعين

لا شك أن تفسير تابعي التابعين يشكل حلقة وصل مهمة بين تفسير السلف ومن بعدهم فقد بدأ تطور التفسير وتوسع ودخله عناصر جديدة، وقد أثّر ذلك في المفسرين بعدهم وفتح الباب على مصراعيه لمواصلة ذلك التطور حتى وصل إلى ما هو عليه لدى المتأخرين.

ولا تسع هذه العجالة لاستخلاص ما لتفسير أتباع التابعين من أثر على من بعدهم ، ولكن يمكن القول إن كل ما ذُكر من مزايا وخصائص في المطلب السابق يمثل الجانب الإيجابي لتفسيرهم، وفي المقابل هناك مآخذ على تفسير بعضهم ، أهمها:

١- التوسع في التفسير اللغوي بعيدا عن تفسير السلف الذي أدى إلى الانحراف في التفسير، وهو مأخذ على اللغويين من أتباع التابعين خاصة.

٢- التوسع في رواية الإسرائيليات.

=الترتيب: مقاتل بن حيان، ثم ابن إسحاق، ثم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ثم ابن عيينة، ثم ابن جريج. ينظر: التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم، ص٨٨. ولا يخفى أن الكلبي (بما عرف من تفسير)، ومقاتل بن سليمان، ويحيى بن سلاّم لم يرد تفسيرهم عند ابن جرير وابن أبي حاتم.

(١) تقدم ما ذُكر أنه ليس لأحد تفسير أطول ولا أشبع منه، من الذين فسروا القرآن في المائة الثانية، ومن الذين ليس في تفسيرهم سوى قولهم، وينظر: تاريخ الإسلام ١٤/ ٤٤٨.

(٢) وتفسيره بين أيدينا شامل لكل القرآن.

(٣) ونصف تفسيره تقريبا بين أيدينا وهو شامل لكل الآيات.

٣- حذف الأسانيد ونقل الأقوال دون عزو لقائليها، ظهر ذلك جليا عند مقاتل بن سليمان[1]، وقد أدّى ذلك إلى فتح باب الانحراف في التفسير، قال السيوطي بعد أن ذكر طبقات مفسري السلف ونَقَلَة تفسيرهم المسندين: « ثم ألّف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بترا، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانّا أن له أصلا، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن يرجع إليهم في التفسير، حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ نحو عشرة أقوال، وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم، حتى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافا بين المفسرين»[2].

(١) وقد مضى بيان تلك المآخذ بما يغني عن إعادته، ينظر: ص ١٧٠، ١٧٢- ١٧٣.

(٢) الإتقان ٦/ ٢٣٤٣.

الخاتـمة

بعد هذا التطواف مع الدرة الخاتمة لعقد تفسير السلف؛ نصل إلى خاتمة هذه الدراسة المتواضعة؛ التي أسأل الله عز وجل أن أكون قد وُفِّقت خلالها في إبراز تفسير أتباع التابعين، وذكر معالمه. وأوجز أبرز ما توصلت إليه من نتائج فيما يلي:

١- تميز عصر تابعي التابعين بوجود طريقين رئيسين في تفسير القرآن: طريق أهل الأثر، وطريق أهل اللغة، وقد انتهج أهل الأثر منهجين في تفسير القرآن: الاقتصار على الرواية والنقل، والجمع بين الرواية والدراية.

٢- برز في أتباع التابعين عدد من المجتهدين في التفسير على منهج السلف، من أشهرهم: محمد بن السائب الكلبي (ت١٤٦)، ومقاتل بن سليمان (ت١٥٠)، ومقاتل بن حيان (ت١٥٠)، وعبدالملك بن جريج (ت١٥٠)، ومحمد بن إسحاق (ت١٥٣)، وسفيان الثوري (ت١٦١)، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم (ت١٨٢)، وسفيان بن عيينة (ت١٩٨) ، ويحيى بن سلاّم (ت٢٠٠).

٣- تفاوتت منزلة هؤلاء الأعلام في الرواية، فمنهم المتفق على توثيقه وإمامته كالسفيانين، ومنهم من حكم بضعفه كابن زيد وابن سلاّم، ومنهم من اتهم بالكذب كالكلبي ومقاتل بن سليمان، ومع ما ذُكر عنهما فالأَوْلى عدم اطراح تفسيرهما بالكلية، بل يروى الاجتهادي منه، ويستفاد من أقوالهم في التفسير مالم يرد فيها ما ينكر، أما ما اتُّهِما به من المعتقد الفاسد فينبغي تحريره، إذ يوجد في تفسير كل منهما ما يخالفه، لاسيّما مقاتل بن سليمان الذي ظهرت براءته من خلال كتبه.

٤- نُقِل عن كلٍّ من هؤلاء الأعلام مُصَنَّفٌ في التفسير عدا ابن إسحاق، فتفسيره مبثوث في كتابه السيرة، وقد وصلنا من تلك التفاسير: تفسير مقاتل بن سليمان- وهو أقدم تفسير شامل للقرآن يصلنا- وتفسير سفيان الثوري، وتفسير يحيى بن سلاّم.

٥- اعتدَّ أئمة نَقَلة التفسير بتفسير أغلب أعلام مفسري أتباع التابعين، وكان لبعض الأتباع اعتناء خاص عند هؤلاء الأئمة، كعبد الرحمن بن زيد بن أسلم عند ابن جرير، وابن جريج عند ابن المنذر، ومقاتل بن حيان عند ابن أبي حاتم.

٦- يمكن القول إن المكثرين من أتباع التابعين في التفسير الاجتهادي هم: الكلبي، ومقاتل بن سليمان، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ويحيى بن سلاّم، ثم يأتي في المرتبة الثانية مقاتل بن حيان، وابن جريج، وابن إسحاق، ثم المقلّون منهم وهم السفيانان.

٧- تفسير أتباع التابعين أقل تفسير طبقات السلف الثلاث نقلا عند أئمة التفسير لأسباب؛ من أبرزها: عدم إيرادهم لتفسير بعض المكثرين منهم، كالكلبي ومقاتل بن سليمان ويحيى بن سلاّم، وقلة عدد المفسرين المجتهدين منهم.

٨- طَرَقَ أتباع التابعين مختلف موضوعات التفسير، وبرز عدد منهم في بعضها، كمقاتل بن سليمان وعبد الرحمن بن زيد ويحيى بن سلاّم في تفسير القرآن بالقرآن والوجوه والنظائر، ويحيى بن سلامّ في التفسير بالسُنَّة والاعتناء بذكر القراءات وتوجيهها، وعبد الرحمن بن زيد في التفسير اللغوي وشرح المفردات، والكلبي ومقاتل بن سليمان وابن إسحاق في أسباب النزول والقصص والإسرائيليات، وسفيان بن عيينة في الاستنباط وإيراد لطائف التفسير.

٩- مصادر التفسير عند تابعي التابعين هي: القرآن، والسنة، وتفسير الصحابة، وتفسير التابعين، واللغة العربية، وما روي عن أهل الكتاب.

١٠- مظانُّ تفسير أتباع التابعين هي: كتب تفسير أتباع التابعين الجامعة بين الرواية والدراية ، وكتب التفسير المأثور المسندة، وكتب التفسير المعتنية بالمأثور غير المسندة، وبعض كتب السيرة والتراجم.

١١- من سمات تفسير تابعي التابعين: كونه في عصر السلف وقرون الخيرية،

وكونه امتدادا لتفسير الصحابة والتابعين، وكونه شهد عصر الاحتجاج اللغوي ونشأة علوم اللغة وتدوين مفرداتها، إضافة إلى تطور التفسير وتوسعه في عهدهم.

١٢- تظهر قيمة تفسير تابعي التابعين العلمية من خلال اعتماده - عموما- من قبل أعلام نَقَلَة التفسير، ولا عبرة بمن خالف ذلك، بأن أخرج تابعي التابعين من دائرة تفسير السلف الذي ينقل ويعتمد عليه. ويترجح لَدَيَّ أن المعتمد من مفسريهم هم الطبقة الكبرى والوسطى دون صغارهم.

١٣- يبرز تطور تدوين التفسير في عهد تابعي التابعين خلال أمور، منها:

- توسع التفسير بشموله جميع آيات القرآن.
- التوسع في بعض مصادر التفسير، لا سيّما: القرآن، والسنة، واللغة.
- ظهور علم الوجوه والنظائر.
- ظهور كتب التفسير المدونة الجامعة بين المنهجين الأثري والنظري .

١٤- أهم المآخذ على تفسير بعض أتباع التابعين:

- التوسع في رواية الإسرائيليات.
- ابتداء ظهور حذف الأسانيد ونقل الأقوال دون عزو لقائليها.

ومن **التوصيات** الجديرة بالذكر:

- جمع تفسير الكلبي الاجتهادي واستخلاص منهجه وأثر ما اشتهر من عقيدته فيه.
- إعادة دراسة وتحقيق تفسير مقاتل بن سليمان.
- إعداد دراسة موازنة بين تفسيري مقاتل بن سليمان ويحيى بن سلاّم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فهرس المراجع

أولا: الكتب المطبوعة:

١. **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة، ط١ : ١٤٢٦.

٢. **أحكام القرآن**، لابن العربي المالكي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت.

٣. **أسباب النزول**، للواحدي، رواية الأرغياني، تحقيق د. ماهر الفحل، دار الميمان: الرياض. ط١: ١٤٢٦/ ٢٠٠٥م.

٤. **أضواء على السنة المحمدية**، د. محمود أبو رية. دار المعارف: دون تاريخ.

٥. **الأعلام**، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥: ١٩٨٠م.

٦. **الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة**، للعلامة عبد الرحمن ابن يحيى المعلمي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٢هـ. - ١٩٨٢م.

٧. **أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن**، د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي: الدمام، ط ٢: ١٤٢٣.

٨. **بحوث في تاريخ السنة**، لأكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، ط١: ١٤١٣.

٩. **البداية والنهاية**، لابن كثير، دار الريان للتراث: القاهرة، ط١: ١٤٠٨.

١٠. **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة: **بيروت**، ١٣٩١.

١١. **تاريخ الأدب العربي**، لمصطفى صادق لرافعي، دار الكتاب العربي: بيروت، ط٢: ١٣٩٤/ ١٩٧٤م.

١٢. **تاريخ التراث العربي**، لفؤاد سزكين، ترجمة د. محمود فهمي حجازي، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

١٣. **تاريخ الإسلام**، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي: بيروت.

١٤. **تاريخ دمشق**، لابن عساكر، تحقيق: عمر غرامة العمروي، دار الفكر: بيروت، ط ١٤١٥.

١٥. **تذكرة الحفاظ**، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار المعارف العثمانية: الهند.

١٦. **تفسير ابن إسحاق**، جمعه محمد عبد الله أبو صعيليك، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٧، ١٩٩٦م.

١٧. **تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق : أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز: مكة، ط٣: ١٤٢٤هـ.

١٨. **تفسير ابن جريج**، جمعه: علي حسن عبد الغني، مكتبة التراث الإسلامي بمصر، ١٤١٣هـ.

١٩. **تفسير ابن جرير الطبري**، تحقيق: د. عبدالله التركي، دار عالم الكتب، ط١/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٠. **تفسير ابن عطية** (المحرر الوجيز)، تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرين، مطبوعات وزارة الأوقاف القطرية، ط:٢، ١٤٢٨هـت ٢٠٧م.

٢١. **تفسير ابن كثير**، تحقيق : سامي السلامة ، دار طيبة: الرياض، الإصدار الثاني من الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢.

٢٢. **تفسير ابن المنذر**، تحقيق د. سعد بن محمد السعد، دار المآثر: المدينة النبوية، ط١: ١٤٢٣/ ٢٠٠٢م.

٢٣. **تفسير البغوي**، تحقيق محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة: الرياض، ١٤١٤/ ١٩٩٣.

٢٤. **تفسير سفيان الثوري**، تحقيق امتياز علي عرشي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١: ١٤٠٣.

٢٥. **تفسير سفيان ابن عيينة**، جمع ودراسة وتحقيق: أحمد صالح محايري، المكتب الإسلامي: بيروت- دمشق، ط١: ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

٢٦. **تفسير مكي ابن أبي طالب** (الهداية إلى بلوغ النهاية)، مجموعة من المحققين، جامعة الشارقة، ١٤٣٠.

٢٧. **تفسير عبد بن حميد**، قطعة منه: تحقيق: مخلف بنية العرف، دار ابن حزم: بيروت، ط١: ١٤٢٥/ ٢٠٠٤م.

٢٨. **تفسير عبدالرزاق الصنعاني**، تحقيق د. مصطفى مسلم، مكتبة الرشد: الرياض، ط١: ١٤١٠.

٢٩. **تفسير القرآن العزيز**، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر- القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

٣٠. **تفسير كتاب الله العزيز**، هود بن محكم الهواري، تحقيق بلحاج سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م.

٣١. **تفسير التابعين**، د. محمد عبد الله الخضيري، دار الوطن، الرياض، ط ١: ١٤٢٠/ ١٩٩٩.

٣٢. **تفسير الثعلبي** (الكشف والبيان عن تفسير آي القرآن)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي: بيروت،ط١: ١٤٢٢/ ٢٠٠٠م.

٣٣. **التفسير اللغوي**: مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام - ط١، ١٤٢٢ه.

٣٤. **تفسير الضحاك**، جمع ودراسة وتحقيق د. محمد شكري الزاويتي، دار السلام- القاهرة، ط١: ١٤١٩/ ١٩٩٩م.

٣٥. **التفسير والمفسرون**، د. محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة: مصر، ط٢: ١٣٩٦/ ١٩٧٦م.

٣٦. **التفسير ورجاله**، محمد الفاضل بن عاشور، دار الكتب الشرقية، تونس، ط٢ :١٣٩٢.

٣٧. **تفسير يحيى بن سلام**، تحقيق هند شلبي، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ١٤٢٥/ ٢٠٠٤م.

٣٨. **تقريب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد: حلب، ط٤: ١٤١٢/ ١٩٩٢.

٣٩. **تهذيب التهذيب** ، لابن حجر العسقلاني، دار صادر: بيروت.

٤٠. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، لأبي الحجاج المزي، تحقيق د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤١. **الثقات**، لابن حبان البستي، ط١: ١٣٩٨، دائرة المعرف العثمانية، الهند.

٤٢. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف: الرياض، ١٤٠٣.

٤٣. **الجامع لابن وهب**- تفسير القرآن، علوم القرآن، تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، ط١: ٢٠٠٣م.

٤٤. **الجرح والتعديل**، لابن أبي حاتم، مصورة عن الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٥. **دلائل النبوة**، للبيهقي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١: ١٤٠٥.

٤٦. **دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية**، د. زيد بن عبد المحسن آل حسين، مركز الملك فيصل: الرياض.

٤٧. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للسيوطي: تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر: مصر، ط١: ١٤٢٤.

٤٨. **الرسالة المستطرفة**، للكتاني، دار الكتب العلمية، ط٢: ١٤٠٠.

٤٩. **سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين الذهبي، إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨: ١٤١٢.

٥٠. **سيرة ابن إسحاق**، تحقيق: د. محمد حميد الله. معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، فاس المغرب ١٣٩٦/ ١٩٧٦م.

٥١. **الشاهد الشعري في تفسير القرآن**، د. عبد الرحمن معاضة الشهري، مكتبة المنهاج – الرياض ط١-١٤٣١.

٥٢. **ضحى الإسلام**، أحمد أمين، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٨م.

٥٣. **الطبقات الكبرى**، لابن سعد، دار صادر، بيروت.

٥٤. **طبقات المفسرين**، لأحمد بن محمد الأدنوي، تحقيق د. سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١، ١٩٩٧

٥٥. **طبقات المفسرين**، للداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة: القاهرة، ط١: ١٣٩٢.

٥٦. **طبقات المفسرين**، للسيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة: القاهرة، ط١: ١٣٩٦.

٥٧. **طبقات النحويين واللغويين**، للزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف: القاهرة، ط١.

٥٨. **العجاب في بيان الأسباب**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق د. عبد الحكيم الأنيس

٥٩. **غاية النهاية في طبقات القراء**، لابن الجزري، عني بنشره براجستر، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠.

٦٠. **فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث: القاهرة، ط١: ١٤٠٧.**

٦١. **فجر الإسلام**، أحمد أمين (موسوعة أحمد أمين الإسلامي) دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٠.

٦٢. **فقه الرد على المخالف**، د. خالد السبت، المصادر: جدة، ط١: ١٤٢٩.

٦٣. **فهرست مصنفات التفسير**، مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة، ط١: ١٤٢٤.

٦٤. **القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، د. هند شلبي، الدار العربية للكتاب: تونس،١٩٨٣م.

٦٥. **الكامل في الضعفاء**، لابن عدي الجرجاني، دار الفكر: بيروت، ط١: ١٤٠٤.

٦٦. **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، لابن حبان، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي: حلب، ط١: ١٣٩٦.

٦٧. **مجموع فتاوى ابن تيمية**، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٩٨.

٦٨. **مسند الامام أحمد**، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف: القاهرة، ط٤: ١٣٧٣.

٦٩. **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية، الناشر : دار الدعوة.

٧٠. **مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير**، د. مساعد الطيار ، دار المحدث: الرياض.

٧١. **مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها**، د. جابر بن إدريس بن علي أمير، مكتبة أضواء السلف: الرياض، ط ١: ١٤٢٢/ ٢٠٠٢م.

٧٢. **مقدمة "الكشف والبيان عن تفسير آي القرآن"** لأبي إسحاق الثعلبي، تحقيق: د. خالد بن عون العنزي، كنوز إشبيليا: الرياض، ط١: ١٤٢٩/ ٢٠٠٨م.

٧٣. **مقدمة في أصول التفسير**، تحقيق عصام الحرستاني، ومحمد شكور حاجي، دار عمار: عمّان-الأردن، ط١: ١٤١٨/ ١٩٩٧م..

٧٤. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط ١ ، ١٤٠٦.

٧٥. **منهج يحيى بن سلام في التفسير**، د. زكريا هاشم الخولي، دار النوادر: سورية، لبنان/ الكويت، ط١: ١٤٣٣/ ٢٠١٢م.

٧٦. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة: بيروت.

ثانيا: الدوريات:

٧٧. **الإمام ابن مردويه ومنهجه في التفسير**، د. محمد عبد الله الخضيري، مجلة الدراسات القرآنية، ع٣.

٧٨. **التفسير بالأثر بين ابن جرير وابن أبي حاتم**، د. محمد عبد الله الخضيري، مجلة الدراسات القرآنية، ع٤.

٧٩. **مقدمة تفسير الدر المنثور للسيوطي بين المخطوط والمطبوع**، د. حازم سعيد حيدر، مجلة الدراسات والبحوث القرآنية، ع١.

ثالثا: المواقع والبرامج الإلكترونية:

٨٠. قاعدة بيانات أوعية المعلومات القرآنية: www.quran-c.com

٨١. ملتقى أهل التفسير: www.tafsir.net

٨٢. هدي الإسلام: www.hadielislam.com

٨٣. المكتبة الشاملة، إصدار ١٤٢٩هـ.

فهرس الموضوعات